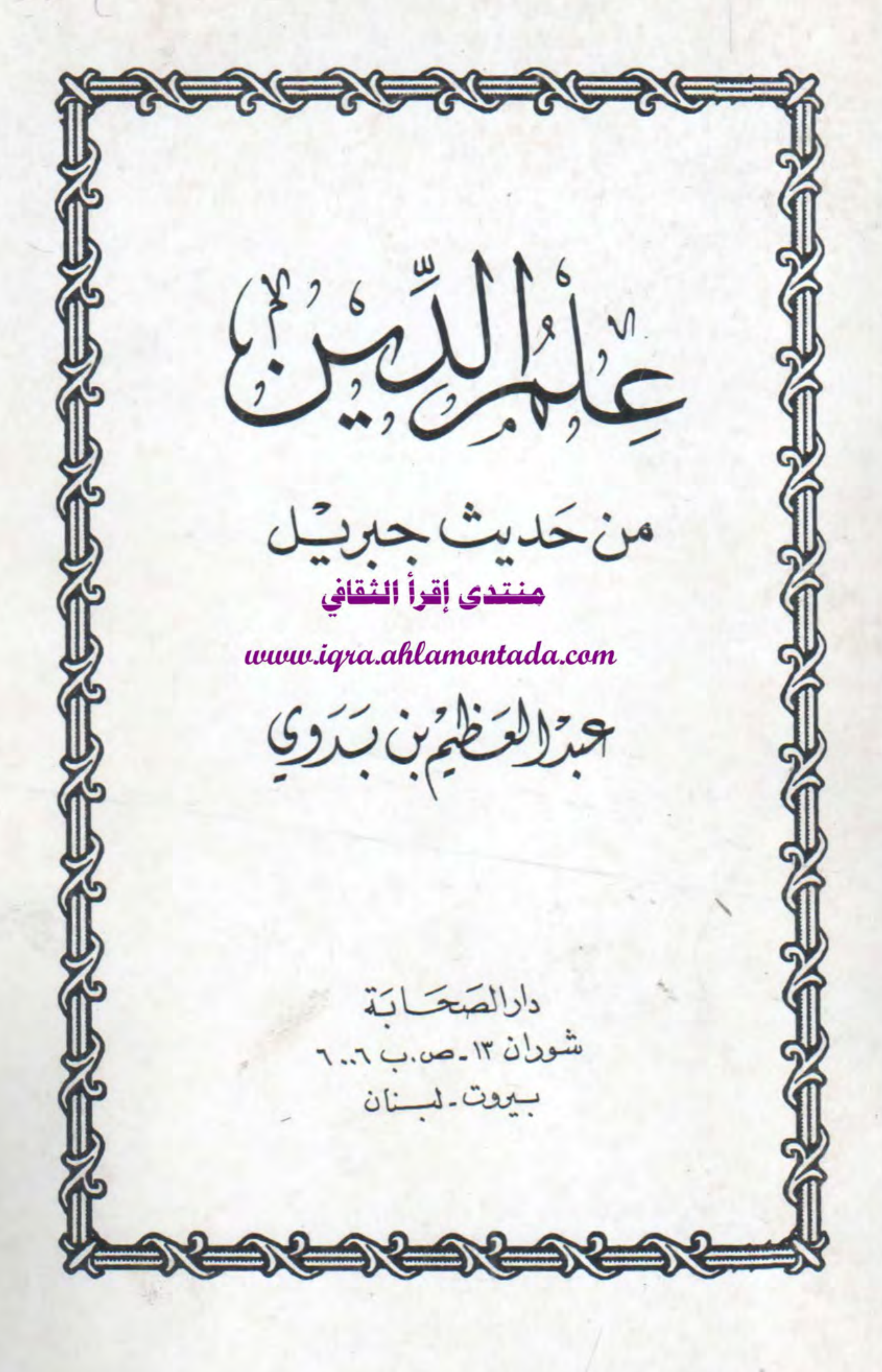


عِلْمُ الدِّين

من حديث جبريل

عبد العظيم بن بدوي

دار الصحابة
شوران ١٣ - ص.ب ٦٠٠٦
بيروت - لبنان

عِلْمُ الدِّين

من حديث جبريل

عبد العظيم بن بدوي

دار الصحابة
شوران ١٣ ـ ص.ب ٦٠٠٦
بيروت ـ لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف بهذا المؤلَّف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فأصل هذا المؤلَّف خطب ألقيتها في مسجد الحاجة حفيظة الحديد ـ يرحمها الله ـ بالقويسمة/ عمّان. في الفترة من (٣/ ٣/ ١٤٠٩ هـ، الموافق ١٤/ ١٠/ ١٩٨٨م) إلى (٦/ ٦/ ١٤٠٩ هـ، الموافق ١٣/ ١/ ١٩٨٩م).

وقد كان بعض الإخوة من طلبة العلم يسجّلون هذه الخطب، فوقع في قلبي كتابتها رجاء أن ينفع الله بها مسموعة ومقروءة، فقمت بكتابتها بعد تفريغها من الشرائط ولم أزد على تهذيبها، ونسبة الأحاديث إلى أهلها من أصحاب السنن، وقد اجتهدت على اجتناب الأحاديث الضعيفة قدر الاستطاعة.

والله عز وجل أسأل أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعلني ممن ﴿دعا إلىٰ الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾.

٤/ ١/ ١٤٠٩ هـ

٨/ ٦/ ١٩٨٩م

وكتبه

عبد العظيم بن بدوي

مصر ـ محافظة ـ الغربيه

الشين ـ مركز قطور

تفسير الرموز المستخدمة في التخريج

ما: مالك
أ: أحمد
خ: البخاري
م: مسلم
د: أبو داود
ت: الترمذي
جه: ابن ماجه
نس: النسائي
قط: الدارقطني
كم: الحاكم
هق: البيهقي
طب: الطبراني في الكبير
حب: ابن حبان في الزوائد

الحديث

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال:

«بينما نحنُ جلوس عندَ رسولِ الله ﷺ إذ طلعَ علينا رجلٌ، شديدُ بياضِ الثيابِ، شديدُ سوادِ الشعرِ، لا يُرىٰ عليهِ أثرُ السفرِ، ولا يعرفهُ منَّا أحدٌ، حتَّى جلسَ إلى النَّبي ﷺ، فأسندَ ركبتيهِ إلى ركبتيهِ، ووضَعَ كفَّيهِ على فَخِذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام. فقالَ رسولُ الله ﷺ: الإسلام أنْ تشهدَ أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وتقيم الصلاةَ وتُؤْتِي الزكاة، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً. قال صدقتَ. قال: فعجبنا له يسألُهُ ويصدِّقُهُ، قال: فأخبرني عن الإيمان قال:

أنْ تؤمِن بالله، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ، واليومِ الآخر، وتُؤمنَ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّه.

قال: صدقتَ. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال:

أنْ تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراهُ فإنَّهُ يراكَ.

قال: فأخبرني عن الساعةِ. قال: ما المَسؤول عنها بأعلمَ من السائلِ.

قال: فأخبرني عن أماراتها.

قال: أن تلِدَ الأمةُ ربَّتها، وأن تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشاءِ يتَطاولُون في البُنيانِ.

قال: ثم انطلق. فلبثتُ مليَّاً. ثم قالَ لي: يا عُمر، أتدري من السائل؟ قلتُ: الله ورسولُهُ أعلمُ.

قال: فإنَّه جبريلُ أتاكم يعلِّمكمْ دينكم»[1].

---

(١) م (٨/ ٣٦/ ١)، ت (٢٧٣٨/ ١١٩/ ٤)، د (٢٦٧٠/ ٤٥٩/ ١٢)، جه (٦٣/ ٢٤/ ١)، نس (٩٧/ ٨).

إخوة الإيمان: هذا حديثٌ عظيمٌ جداً، قد اشتملَ علىٰ بيانِ الدِّين كلّه، ولذا قال ﷺ فِي نهايته: هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينكم.

وها نحن نعيشُ مع هذا الحديث العظيم، ونبيّن مراتب الدين كما جاءت فيه وهي:

الإسلام، والإيمان، والإحسان، ونفصّل القول في كل مرتبةٍ من هذه المراتب، مستعينين بالله عز وجل، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لخيرِ القولِ وأحسنِ العمل.

أولاً : الإسلام

الركن الأول : الشهادتان

الشهادتان هما الركنُ الأعظمُ في أركان الإسلام، لايدخلُ العبدُ في الإسلام إلا بهما، ولا يخرجُ منه إلا بنقضِهما.

وهما العروةُ الوثقى، التي قال الله فيها : **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾**[1] .

وهما العهدُ الذي قال الله فيه: **﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾**[2] قال ابن عباس: «العهد هو شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسولُ الله».

وهما القول الثابت الذي قال الله فيه: **﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾**[3] .

وهما كلمةُ التقوى التي قال الله عنها: **﴿وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها﴾**[4] .

وهما الكلمة الطيِّبةُ التي قال الله تعالى: **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرة طيِّبة أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾**[5] .

وبهما تتعلقُ الشقاوةُ والسعادةُ، وبهما تُؤخذ كتب الأعمال باليمين أو بالشمال، وبهما يثقل أو يخفّ الميزان، وبهما تتعلق النجاةُ من النار والفوزُ بالجنة، فمن أتى بهما دخل الجنة ونجا من النار، ومن لم يأت بهما فاتته

---

(١) البقرة ٢٥٦.
(٢) مريم ٨٧.
(٣) إبراهيم ٢٧.
(٤) الفتح ٢٦.
(٥) إبراهيم ٢٤، ٢٥.

الجنة، وحُكم عليه بالخلود في دار البوار.

من لقي الله بهما دخل الجنة عاجلاً أو آجلاً، عاجلاً.. إن مات تائباً غير مُصرٍّ على معصية، وآجلاً إن مات غير تائب وهو مُصِرٌّ على المعصية، ولم يشأ الله أن يغفر له، فهذا يعذّب في النار بذنوبه، ثم يخرجه الله منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، حتى لا يستوي أهلُ التوحيد وأهلُ الشرك في الخلود في النار، فأهل التوحيد إن دخلوا النار بذنوبهم فهم لا يخلّدون فيها، وأما المشركون فهم فيها خالدون: ﴿**يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها، ولهم عذاب مقيم**﴾[1].

ولقد جاء في فضل الشهادتين أحاديث كثيرة منها:

قوله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، حرم الله عليه النار»[2].

وقوله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبدُهُ ورسوله، وأن عيسى عبدُ الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، وأنّ الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنّة على ما كان من عمل»[3].

وقوله ﷺ: «إن الله سيخلِّص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعةً وتسعينَ سجلاً، كلّ سجلٍّ مثل مدِّ البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا ياربّ، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا ربّ، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فيقول: أحضر وزنك. فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفّة، والبطاقة في كفّة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء»[4].

---

(١) المائدة ٣٧.
(٢) م (٢٩/٥٧/١)، ت (٢٧٧٥/١٣٢/٤).
(٣) خ (٣٤٣٥/٤٧٤/٦)، م (٢٨/٥٧/١).
(٤) ت (٢٧٧٦/١٣٣/٤).

هذا هو فضل التوحيد. هذا هو ثواب من أخلص دينه لله، وأسلم وجهه لله، هذا ثواب من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبيّاً ورسولاً.

من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنّة، ومن لقي الله يشرك به شيئاً دخل النار[1]، ﴿إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾[2].

وفي الحديث عن النبي ﷺ عن الله عزّ وجل أنه قال:

«يا ابن آدم إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالي.

يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبُك عنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك.

يا ابن آدم لو أتيتني بقُرابِ الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرةً»[3].

ما معنى لا إله إلاّ الله؟

المعنى الحقيقي لكلمة التوحيد على وجه الإجمال: إفرادُ الله تعالى بالعبادة، والإقرارُ باطناً وظاهراً بأنه سبحانه الرب الخالق المالك المدبّر، الذي لا يُعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، والخضوعُ والإذعانُ لحكمه من غير حرج، وردُّ كلِّ أمرٍ يخالفه، ووصفه سبحانه بما وصفَ به نفسَه، أو وصفَهُ به نبيّه ﷺ. هذا هو معنى لا إله إلاّ الله مجملاً.

أما تفصيل معنى هذه الكلمة، [فكما يلي:]

إن التوحيد ثلاثة أقسام: توحيدُ الربوبيّة، وتوحيدُ الألوهيّة، وتوحيد الأسماء والصفات.

أما توحيد الربوبيّة: فهو الإقرار باطناً وظاهراً بأنّ الله سبحانه هو ربّ كل شيءٍ ومليكهُ وأنه الخالقُ الرازقُ، المحيي المميت، المدبِّر أمرَ كلِّ ما في هذا الكون عُلويِّه وسُفليِّه. وقد أقرّ به أكثر الخلق مؤمنهم وكافرهم.

---

(١) هذا حديث رواه: م (٩٣/ ٩٤/ ١).

(٢) النساء: ٤٧.

(٣) ت (٣٦٠٨/٢٠٨/ ٥).

وأما توحيد الألوهيّة: فمعناهُ إفرادُ الله سبحانه بالعبادة، وعدمُ صرفِ أيّ جزءٍ من العبادة إلى غير الله، فإنّ هذا هو معنى لا إله إلاَّ الله، لا إله: نفي، إلاَّ الله: إثبات، الجزءُ الأوّلُ نفي استحقاق الألوهيّة عن كل شيءٍ، والجزءُ الثاني أَثْبَتَها لله وحده، لا إله إلاَّ الله، معناها: لا معبودَ بحقٍّ إلاَّ الله، فقد عبد المشركون من دون الله أصناماً، حجارةً وأشجاراً، عبدوها بعد أن نحتوها بأيديهم، عبدوها وسمّوهاآلهة، وهي آلهةٌ باطلةٌ، عُبِدَت بغير حقٍّ، فإنَّ الإله الحقّ الذي يستحق العبادةَ دون سواه هو الله، لأنَّ الله هو الذي خلق، وغيرُهُ **﴿لا يَخلُقُون شيئاً وهُم يُخْلَقُون﴾** فكيف يُسوّى الخالقَ بالمخلوق ؟.

وهذا التوحيد الثاني هو الذي من أجله خلقَ الله الخلقَ، وخلقَ الجنّة والنَّار، ومن أجله أرسل الله الرسلَ وأنزل الكتب:

قال تعالى: **﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلاَّ ليعبدون﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه، سبحانه وتعالى عما يشركون، ينزِّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلاَّ أنا فاتّقون﴾**[4].

وهذا التوحيدُ هو الذي جادل فيه المشركون وأنكروه، وقد كانوا يقرُّون بالتوحيد الأول: توحيدِ الربوبيّة، كانوا يقرّون أن الله هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ المدبِّر، قال تعالى: **﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحيّ من الميّت ويخرج**

---

(١) الذاريات ٥٦.
(٢) النحل ٣٦.
(٣) الأنبياء ٢٥.
(٤) النحل ١، ٢.

الميّت من الحيّ ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون الله﴾[1] .

كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ولكنهم: **﴿كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعرٍ مجنون ؟!﴾**[2] .

فعلى المسلم أن يعلمَ أنَّ الاعترافَ بأنَّ الله هو الخالقُ الرازقُ، المحيي المميتُ، المدبِّر، لا يغني عنه من الله شيئاً إلاَّ إذا أقرَّ واعترف بأنَّ الله هو المستحق للعبادة دون سواه، ثم عمل بمقتضى هذا الإقرار.

أما توحيد الأسماء والصفات فمعناه: إثباتُ ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات في محكم كتابه أو على لسان رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف. ونفي ما نفاه الله عن نفسه في محكم كتابه أو على لسان رسوله ﷺ، فلا يجوز أن يسمّى الله أو يُوصفَ بما لم يسمِّ به نفسَه أو يصفُها به، ولا يجوز نفيُ ما أثبته الله لنفسه، فالإثباتُ كالنَّفي في التحريم، فمن قال: مِنْ أسماءِ الله كذا، ومن صفاته كذا، من غير حجّة ولا برهانٍ فقد افترى على الله الكذب، ومَنْ نَفى عن الله ما أثبته الله لنفسه فقد كذَّب بالحق بعد إذ جاءه.

والصفات التي وردت في الكتاب والسنة نوعان: صفات ذات، وصفات فعل.

فأما صفات الذات فكالنفس، والحياة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام، والوجه، واليد، والساق، ونحو ذلك.

وأما صفات الفعل فكالاستواء، والنزول، والمجيء، والرضى، والغضب، والضحك، والفرح، ونحو ذلك. والواجب علينا نحو هذه الصفات الإِيمان بها، وإثباتها لله، كما ذكرنا، من غير تشبيه ولا تحريف ولا تعطيل ولا تكييف، فلا نقول: نفس الله كأنفسنا، ولا يد الله كأيدينا. ولا نقول: استواء الله كاستوائنا، ومجيء الله كمجيئنا، ولا نحرف الكلم عن مواضعه، بتأويل أو تغيير، كالذين قالوا: يد الله قدرته، واستوى ربنا على العرش: يعني استولى عليه. وإنما نقول ما قاله الإمامُ الشافعي رضي الله عنه:

---

(١) يونس ٣١.
(٢) الصافات ٣٥، ٣٦.

«آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله».

وما قاله الإمام مالك رضي الله عنه: «الاستواء معلوم والكيف مجهول».

قال تعالى: **﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾**[1].

ما معنى: **أشهد أن محمداً رسول الله ؟**.

إن شهادة لا إله إلا الله، لا تتم ولا تكتمل ولا تنفع إلا بالشهادة الثانية وهي: أن محمداً رسول الله، وإذا علمنا أن الله هو المستحق للعبادة دون سواه، فكيف نعبده ؟

إن العقل لا يمكن أبدا أن يستقل بمعرفة العبادة كماً وكيفاً، ولا بد من واسطة بين الله وعباده في تبليغهم مراد الله منهم وتعليمهم كيف يعبدونه، وهذه الواسطة هي المرسلون الذين ختمهم الله بمحمد ﷺ، وجعل طاعته من طاعته فقال: **﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾** وجعل اتباعه عنوان محبته، فقال **﴿قلْ إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾**.

فلا سبيل للوصول إلى الله إلا عن طريق محمد ﷺ، ولا سبيل لمعرفة كيف يعبد الله إلا طريق محمد رسول الله ﷺ، وهذا هو معنى أن محمداً رسول الله.

---

(١) الشورى ١١.

مظاهر الشرك في العبادة

قلنا أنَّ التوحيدَ ثلاثةُ أقسام: توحيدُ الربوبيّة، وتوحيدُ الألوهيَّة، وتوحيدُ الأسماءِ والصفاتِ، وقلنا أنَّ توحيدَ الألوهيّة هو التوحيدُ الذي من أجله خلق الله الخلق، وبه بعث رسلهُ وأنزل كتبَه، ومعناهُ إفرادُ الله بالعبادةِ، حتى لا يُعبد غيره، ولا يُعبد معهُ غيرهُ. فما هي العبادة ؟

العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبّه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرةِ والباطنةِ والمرادُ بالظاهرةِ أعمالُ الجوارحِ، والمرادُ بالباطنةِ أعمال القلوب. إن القلوب مكلفة بأعمال كما أن الجوارح مكلفة بأعمال، ومن أعمال القلوب: الإيمانُ، المحبةُ، الإنابة، الرغبة، الرهبة، الخشية، الخوف، الرجاء، التوكل، كلُّ هذه الأعمال من أعمالِ القلوب عبادةٌ يجبُ أن تصرفَ إلى الله تعالى وحده.

ومن أعمال الجوارح الظاهرة: الصلاةُ، الصومُ، الطوافُ، الذبح، النذر، تقبيل الحجر الأسود، واستلام الركن اليماني من البيت العتيق، وكلُّ هذه الأعمال أيضاً عبادةٌ لا يجوز صرفُها لغير الله.

كما أنَّ من عبادةِ القولِ: الأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر، الدعاء، الاستغاثة، الاستعانة، وكلُّ هذه الأعمال أيضاً عبادةٌ يجب أن تصرفَ إلى الله وحده.

هذا على وجه الإجمال والإيجاز، فإذا أردنا التفصيلَ، لنضعَ الحقائقَ أمام المسلمِ حتى لا تزلَّ به قدمٌ فيهوي في الشرك مِنْ حيثُ لا يدري أو من حيثُ يدري، فإن الشركَ أخفى على النّاس من دبيب النمل على الصفا. إذا أردنا التفصيل نقول وبالله التوفيق:

اعلم يا عبد الله المسلمَ أنَّ من عبادة القلب الإيمانَ، والإيمان هو التصديقُ بوجودِ الله سبحانه، وأنَّه ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ، وأنَّه الإلهُ الحقُّ الذي يستحقُّ العبادة دون سواه ومن لوازم هذا الإيمان الإيمانُ بكلّ ما أمر الله بالإيمان به، كالإيمان بالملائكة، والنّبيِّين، والكتب المنزَّلة على المرسلين، والإيمان

باليوم الآخر، وبالقدر خيره وشرّه قال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً﴾**[1] فأيّما رجلٍ أقرّ بربوبيّة غير الله، أو اعتقد أنّ غيرَ الله يستحق العبادة، فقد كفر، وأيّما رجلٍ كفر بشيءٍ مما أمر الله بالإيمان به فقد كفر.

ومن عبادة القلب المحبّة، المحبّة من أعمال القلوب، عبادةٌ تعبّدنا الله بها، فالواجبُ على كل مسلمٍ أن يُقبلَ بكلّيته على الله سبحانه، حتى يكونَ الله عزَّ وجلّ هو الحبيب الذي يسكن حبّه القلب، فيُقدّم محبّته على محبة من سواه، ويحبّ لله كلَّ ما يحبّه الله من العقائد والأقوال والأعمالِ الصالحة، كما يحبّ لله من يحبّه الله من الصالحين.

ولما كان الإنسانُ مفطوراً على حبّ الذاتِ، وحبّ الآباء والأبناء، والأزواج والأموال، والأوطان، فإنّ معنىٰ حبّك لله أن يكونَ الله أحبّ إليك من كل ما سواه، بحيثُ تُؤثرُ رضا الله على رضا من سواه، قال تعالى: **﴿قل إنْ كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادَها ومساكنُ ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربّصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**[2]. ولقد عاب الله على أقوام أحبّوا غيرَ الله كحبّهم لله، فقال تعالى: **﴿ومن النّاس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبّ الله﴾**[3]. فإذا كان الله عاب على من سوّى محبة غيره بمحبته فكيف بمن كان حبّه لغير الله أعظمَ من حبّه لله.

ومن عبادة القلب الإنابةُ، وهي الإقبالُ على الله تعالى، والتوبةُ إليه، والإنابة عبادةٌ قد أمر الله بها عبادهُ؛ فقال: **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾**[4]. وأخبر أنه يهدي إليه من أناب، وأمر باتباع سبيل من أناب إليه، فقال تعالى: **﴿واتبع سبيلَ من أناب إليّ﴾**[5].

---

(١) النساء ١٣٦.
(٢) التوبة ٢٤.
(٣) البقرة ١٦٥.
(٤) الزمر ٥٤.
(٥) لقمان ١٥.

ومن المعلوم أنَّ غيرَ الله لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وإذا كان كذلك فكيف يُنيبُ المسلمُ إلى غير الله يرجوه أن يحقّق له ما لا يقدرُ على تحقيقهِ لنفسه. ومن هنا كان من أناب إلى غير الله راجياً الخيرَ منه، أو خائفاً من سخطه أو عقابه فقد أشرك.

ومن عبادة القلب التوكلُ: وهو الاستسلام لله، وتفويضُ الأمر إليه، اعتماداً ووثوقاً به، وقد أمرَ الله عباده بالتوكل عليه، فقال تعالى: **﴿وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾**[1] وقال: **﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾**[2]. وقال: **﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾**[3]. ذلك لأن الله وحده هو القادر على أن يكفي من يتوكل عليه جميع شؤونه **﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾**[4]. وقد تكفَّل سبحانه بكفاية المتوكلين عليه، فقال: **﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾**[5]. فليكن توكُّلك أيها المسلم على الله، فالله وحده القادرُ أن يكفيكَ شؤونك، ويقضي حوائجك، ويعطيَك مسألتك. ومن توكلِ على غيرِ الله، اعتماداً عليه، وثقةً به فقد أشرك، ومن عبادة القلب: الخشيةُ والخوفُ: وقد أمر الله بخشيته، ونهى عن خشيةِ غيره، فقال: **﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾**[6]. كما أمر بالخوف منه ونهى عن خوف غيره، فقال: **﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾**[7]. فالواجبُ على المسلم أن لا يخاف إلا الله، ولا يخش غيره، وقد وعد الله أهل خشيته بالمغفرة والفوز، فقال: **﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾**[8]. وقال: **﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشَ الله ويتّقهِ فأولئك هم الفائزون﴾**[9]. فمن خافَ غير الله، أو خشِيَه معظِّماً له مستكيناً، يذلّ له ويطيعه في معصية الله، وهو غير

---

(١) الأحزاب ٣.

(٢) إبراهيم ٦.

(٣) المائدة ٢٣.

(٤) الزمر ٣٦.

(٥) الطلاق ٣.

(٦) المائدة ٤٤.

(٧) آل عمران ١٧٥.

(٨) الملك ١٣.

(٩) النور ٥٢.

مكره على تلك الطاعة فقد أشرك بالله .

ومن عبادة القلب : الرجاءُ والرغبةُ : والرجاءُ هو الأملُ في الخيرِ ، وترقُّب حصوله ، وانتظارُه ممَّن يملكه ويقدرُ على تحقيقه . والرغبةُ حبّ الخير وإرادته ، والطمعُ في تحصيله ممن يملكه ويقدر على إعطائه وهبته . فهي مثل الرّجاء ، وكلاهما مما تعبّدنا الله به ، قال تعالى : **﴿فمن كان يرجو لقاءَ ربه فليعملْ عملاً صالحاً ولا يشركْ بعبادة ربّه أحداً﴾**[1] . وقال عن زكريا وأهله : **﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين﴾**[2] . وأمر رسوله محمداً ﷺ بالرغبة إليه فقال : **﴿فإذا فرغت فانصب ، وإلى ربك فارغب﴾**[3] . ولما كان الخير كلّه بيد الله ، وليس بيد أحدٍ سواهُ ، وكان الله وحده القادرَ على إعطائه من يشاءُ من عباده ، كان رجاءُ الخير ورغبتُه من غير الله شركاً بالله عز وجل .

أما أعمالُ الجوارح الظاهرة : فمنها الصلاةُ ، وأهمّ أركانها الركوعُ والسجودُ ، لا تصحُّ صلاةُ رجلٍ ترك الركوعَ أو السجودَ ، وقد أمر الله المؤمنين بهما فقال : **﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾**[4] . وأمر بهما مريم عليها السلام ، فقال : **﴿يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾**[5] .

فالركوع عبادة لا يجوز صرفُها لغير الله ، والسجودُ عبادة لا يجوز صرفها لغير الله ، فمن انحنى لأحدٍ أو سجد له فقد أشرك بالله .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله : الرَّجلُ منا يلقى أخاه أو صديقَه أينحني له قال : «لا» . قال أفيلتزمه ويقبّله ؟ قال : «لا» قال : فيأخذ بيده ويصافحه ؟ قال : «نعم»[6] . ولما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي ﷺ ، فقال ﷺ : «ما هذا يا معاذ ؟» قال : أتيت الشام فوافيتهم يسجدون

---

(١) الكهف ١١٠ .
(٢) الأنبياء ٩٠ .
(٣) الشرح ٧ ، ٨ .
(٤) الحج ٧٧ .
(٥) آل عمران ٤٣ .
(٦) ت (٢٨٧١/ ١٧٢/ ٤).

لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن نفعل ذلك بك. فقال رسول الله ﷺ: «فلا تفعلوا، فإني لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»[1]. فمن ركع أو سجد لغير الله فقد أشرك.

ومن أعمال الجوارح الطوافُ ببيت الله الحرام، إن الله تعبدنا بالطواف حول بيته، فقال: ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾[2]. كما تعبّدنا باستلام الركنين اليمانيّين، وتقبيل الحجر الأسود، فلا يجوزُ لمسلم أن يطوف بأيِّ بناءٍ، أو أن يتمسح بأيِّ جدارٍ، أو يقبّل حجراً غير الحجر الأسود، فالذي يطوفُ بالقبور والقبابِ، ويقبّل العتبات، ويتمسحُ بالجدران والحديدِ المنصوبِ حول الضريحِ فقد أشركَ.

ومن أعمال الجوارح الذبح، الذبحُ عبادةٌ أمرنا الله بها فقال: ﴿**فصلّ لربّك وانحر**﴾[3]. وقال: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين**﴾[4]. ومن الذبائح المشروعة: الهديُ، والأضاحي، والعقيقة، والوليمةُ، فلا يجوزُ الذبحُ لغيرِ الله، فقد لعن رسولُ الله ﷺ من ذبحَ لغير الله، ومن الذبائح غير المشروعة: الذبحُ عند بناءِ بيتٍ، أو امتلاكِ سيارةٍ اتقاء الجنّ والعيْن، كثيرٌ من المسلمين إذا مَنَّ الله عليهم ببيت أو سيارة أو غير ذلك من النعم ذبحوا الذبائح، لا شكراً لله وتقرباً إليه، وإنما اتقاءَ الجنّ، وخوفاً من العين، ولذا ترى أحدهم إذا ذبح يذبحُ على عتبةِ البيتِ أو مقدّمةِ السيارة، ويلّطخُ البيتَ بالدماءِ، مما يشهدُ على أنه ذبح لغير الله. ومن ذبح لغيرِ الله فقد أشرك.

ومن أعمال الجوارح النذرُ: وهو التزامُ العبدِ ما لم يلزمه من الطاعاتِ، أو هو التعهُّدُ بالقيام بشيء من العبادات تقرُّباً إلى الله تعالى، أو بشرط أن يقضيَ الله تعالى له حاجةً. والنذرُ مما تعبّد الله تعالى به عباده، وقد أثنى على الموفين به فقال: ﴿**يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً**﴾[5]. وقال

---

(١) جه (١٨٥٣/ ١/٥٩٥).
(٢) الحج ٢٩.
(٣) الكوثر ٢.
(٤) الأنعام ١٦٢، ١٦٣.
(٥) الإنسان ٧.

مرغَّباً فيه: ﴿وما أنفقتم من نفقةٍ أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾[1] . وبناء على هذا فإنَّ من نذرَ لغيرِ الله سواءٌ لحيٍّ أو ميِّتٍ فقد أشرك.

ومن العبادات القولية: الدعاءُ، الدعاءُ عبادةٌ أمر الله بها المؤمنين، فقال تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم. إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾[2] . وقال رسول الله ﷺ: «الدعاءُ هو العبادة»[3] وإنما كان الدعاءُ عبادةً لأنّ فيه ذلّةً وانكساراً وافتقاراً، وهذا هو حقيقة العبادة. فلا يجوز لمسلمٍ أنْ يدعوَ غير الله، أو يستغيثَ به، ومن العجيب أن تسمعَ بعضَ المسلمين يدعو وينادي غائباً، حياً كان هذا الغائب أو ميتاً، يدعوه، وينادِيه، ويستغيثُ به، ويسألُهُ أن يفرج كربه، وهذا كلّه شركٌ بالله ﴿ومن أضل ممن يدعون من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون * وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾[4] .

ومن العبادات القولية الحلفُ، والحلفُ لا يجوزُ إلا بالله أو باسمٍ من أسمائه أو صفة من صفاته ولا يجوز بالشرف ولا بالآباء والأبناء، وقد قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك»[5] .

---

(١) البقرة ٢٧٠.

(٢) غافر ٦٠.

(٣) ت (٤٠٤٩/٢٧٩/٤)، د (١٤٦٦/٣٥٢/٤)، جه (٣٨٢٨/١٢٥٨/٢).

(٤) الأحقاف ٥.

(٥) ت (١٥٧٤/٤٥/٣).

الركن الثاني: الصلاة

إنَّ للصلاة في الإسلام منزلةً لا تعدلُها منزلةُ أية عبادةٍ أخرى، فهي عمود الدّين، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «رأسُ الأمر الإسلامُ، وعمودهُ الصلاةُ، وذروةُ سنامهِ الجهادُ»[1]. وهي أوَّل ما فرض الله تعالى من العبادات، فرضَها بمخاطبة رسوله من غير واسطةٍ، ليلةَ المعراج وكانت خمسين، فما زال رسول الله ﷺ يسألُ ربَّه التخفيفَ، حتى قال تعالى: ﴿**ما يبدّل القولُ لديّ وما أنا بظلَّامٍ للعبيد**﴾[2]. «هي خمسٌ في العمل وخمسون في الأجر والثواب»[3].

وهي أوَّل ما يحاسبُ عليه العبدُ يومَ القيامةِ، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خابَ وخسرَ، كما جاء في الحديثِ عن رسول الله ﷺ[4].

وفي آخر وصية وصَّى بها رسول الله ﷺ وهو في مرض موته جعل يقول: «الصلاة الصلاةَ، وما ملكتْ أيمانكم»[5].

وقد أمر الله تعالى بالمحافظة عليها، فقال: ﴿**حافظوا على الصلواتِ والصلاةِ الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾[6].

ومدحَ الله الذين هم على صلواتهم يحافظون، ووعَدَهم الفردوس، أعلى درجات الجنّة، فقال تعالى: ﴿**قد أفلح المؤمنون... إلى.. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها**

---

(١) ت (٢٧٤٩/١٢٤/٤)، جه (٣٩٧٣/١٣١٤/٢).

(٢) قٓ ٢٩.

(٣) هذا معنى حديث رواه الترمذي هكذا مختصراً (٢١٣/١٣٧/١)، ورواه مطولاً: خ (٣٢٠٧/٣٠٢/٦)، م (١٦٢/١٤٥/١)، نس (٢١٧/١).

(٤) ت (٤١١/٢٥٨/١)، نس (٢٣٢/١).

(٥) جه (١٦٢٥/٥١٩/١).

(٦) البقرة ٢٣٨.

خالدون﴾[1] .

وكما مدح الذين هم على صلواتهم يحافظون، ذمّ الذين هم عن صلاتهم ساهون، فقال تعالى: **﴿فخلف من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتَّبعوا الشهواتِ فسوف يلقون غيّاً﴾**[2] . وقال تعالى: **﴿فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾**[3] .

وقال تعالى: **﴿كل نفس بما كسبت رهينة * إلاَّ أصحاب اليمين * في جناتٍ يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر ؟ * قالوا لم نك من المصلين. . ﴾**[4] الآيات.

ولقد أمر الله تعالى بالصلاة في الحضر والسفر، والخوف والأمن، فقال تعالى: **﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطىٰ وقوموا لله قانتين * فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً، فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾**[5] .

وقال تعالى مبيِّناً صفة الصلاة في الخوف:

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاةَ فلتقم طائفةٌ منهم معك وليأخذوا أسلحتهم، فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم. . ﴾[6] الآية.

ولقد بلغ من عناية الإسلام بالصلاة أن رخّص فيها ما لم يرخّص في غيرها، حتى لا يبقى عذرٌ لمعتذر، يعتذر به عن عدم إقامتها.

فرخّص لمن فقد الماء أو عجز عن استعماله أن يتيمّم، كما رخّص لمن فقد الماءَ والترابَ أن يصلّي على حسب حاله من غير وضوء ولا تيمّم، قال تعالى: **﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا﴾**[7] .

---

(١) المؤمنون ١ـ١١.
(٢) مريم ٥٩.
(٣) الماعون ٤ـ٦.
(٤) المدثر ٣٨ـ٤٨.
(٥) البقرة ٢٣٨، ٢٣٩.
(٦) النساء ١٠٢.
(٧) النساء ٤٣.

ورخّص لمن عجز عن القيام في الصلاة أن يصلّي قاعداً، فإن عجز عن القعود صلّى على جنب. كما جاء عن عمران بن حصين أنه كانت به بواسيرٌ، فسأل رسول الله ﷺ كيف يصلّي؟ فقال: «صلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب»[1].

وهذه الرُّخص يجبُ على المسلمين أن يتعلّموها ويعلّموها، فإنَّ كثيراً من المرضى، إذا ناموا في فراشِ المرض تركوا الصلاة، معتذرين بأنهم لا يقدرون على الطهارة، لا يقدرون على القيام، لا يقدرون على استقبال القبلة، ونحو ذلك من الأعذار، ولهؤلاء نقول: تعلّموا هذه الرخصَ التي ذكرناها، واعلموا أنه **﴿لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها﴾**[2] وقد قال تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾**[3]. وقال النبي ﷺ: «ما أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»[4].

إخوة الإيمان: **﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾**[5].

واعلموا أن الله تعالى ما فرض عليكم الصلاة إلا لما لكم فيها من الخير: فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما بيّن الله في محكم كتابه[6].

والصلاةُ تطهر المصلّي من الأخلاق الدنيئة، والصفات القبيحة، قال تعالى: **﴿إنَّ الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسّه الشرُّ جزوعاً * وإذا مسّه الخيرُ منوعاً * إلاَّ المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون﴾**[7].

والصلاة تعينُ على أمورِ الدين والدنيا، قال تعالى: **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾**[8]. وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر**

---

(١) خ (١١١٧/ ٥٨٧/ ٢)، د (٩٣٩/ ٢٣٣/ ٣)، ت (٣٦٩/ ٢٣١/ ١)، جه (١٢٢٣/ ٣٨٦/ ١).

(٢) البقرة ٢٨٦.

(٣) البقرة ٢٣٨.

(٤) م (١٣٣٧/ ٩٧٥/ ٢)، نس (١١٠/ ٥).

(٥) التغابن ١٦.

(٦) في سورة العنكبوت ٤٥.

(٧) المعارج ١٩-٢٣.

(٨) البقرة ٤٥.

والصلاة﴾[1] .

والصلاة صلةٌ بين المصلِّي وربِّه، يناجي الله ويناجيه الله، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنّ الله عزّ وجل قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين. قال الله: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله: أثنىٰ عليَّ عبدي، فإذا قال: مالك يوم الدين. قال الله: مجّدني عبدي. أو قال مرة: فوّض إليَّ عبدي. فإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين. قال الله. هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»[2] .

فأيّ شرفٍ لك أيها المسلم بعد هذا الشرف، وأيُّ فخرٍ بعد هذا الفخر ! أن تقوم بين يدي الملك الكبير المتعال، تناجيه ويناجيك، هو سبحانه فوق عرشه، كما أخبر عن نفسه[3] ، وأنت قائمٌ في محرابك، تسألهُ فيعطيك، وتدعوه فيجيبك.

فحافظ يا عبد الله على الصلاة، فإنها خير أعمالك، واعلم أن الصلاة تمحو الذنوب والخطايا كما يمحو الماء وسخَ الثوب والبدن، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّراتٌ لما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر»[4] .

وقال ﷺ: «أرأيتم لو أنّ نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ، ما تقولون ذلك يُبقي من درنه ؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيئاً. قال:

---

(١) البقرة ١٥٣.
(٢) م (٣٩٥/٢٩٦/١)، د (٨٠٦/٣٨/٣)، ت (٤٠٢٧/٢٦٩/٤)، نس (١٣٥/٢).
(٣) في سبع سور: الأعراف ٥٤، يونس ٣، الرعد ٢، طه ٥، الفرقان ٥٩، السجدة ٤، الحديد ٤، فالواجب الإيمان بما أخبر الله عن نفسه من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تعطيل ولا تمثيل، كما قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.
(٤) م (٢٣٣/١٦/٢٠٩).

فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»[1] .

على من تجب الصلاة ؟

تجب الصلاةُ على كلّ مسلمٍ، بالغٍ، عاقلٍ. ويجبُ على أولياء الأمور أن يأمروا بها صبيانهم، وإن كانت غير واجبةٍ عليهم، ليتعوَّدوا المحافظة عليها، لقوله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع»[2] .

حكم تارك الصلاة:

قال ﷺ: «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»[3] .

وقال ﷺ: «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[4] .

حمل نفرٌ من العلماءِ الكفرَ المذكورَ في الحديثينِ على أنه الكفر الأكبرُ المخرجُ عن الملة، وقالوا: من ترك الصلاةَ فقد كفر، وخرجَ عن الإسلام، إذا مات على ذلك عومل معاملة الكافر الأصليّ، فلا يُغسّل، ولا يُصلَّى عليه، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يرثه المسلمون.

والأرجح ما ذهب إليه جمهورُ العلماء: أنّه يفرّق بين الجاحد والمتهاون، فالجاحدُ لفرضية الصلاة كافرٌ بإجماع المسلمين، وأما المتهاون بها، وهو يعتقدُ بفرضيتها، ويقرّ بتقصيره وذنبه فهذا يُسمّى كافراً، كما سمّاه النبي ﷺ، ولكن كفرٌ أصغرٌ لا يخرجه عن الملّة، جمعاً بين هذه الأحاديث وأحاديثَ أخر، منها:

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «خَمسُ صلواتٍ كتبهنّ الله على العباد، من أتى بهنّ لم يضيّع منهنّ شيئاً، استخفافاً بحقهنّ كان له عند الله عهد أن يدخلهُ الجنّة، ومَن لم يأت بهنّ فليس

---

(١) خ (٢/١١/٥٢٨)، م (٦٦٧/ ٤٦٢/ ١)، ت (٤/٢٢٨/٣٠٢٨)، نس (١/٢٣١).

(٢) د (٤٩١/١٦٢/٢).

(٣) جه (١٠٧٩/٣٤٢/١)، ت (٢٧٥٦/١٢٥/٤)، نس (١/٢٣١)

(٤) م (٨٢/٨٨/١)، وهـذا لفظـه، د (٤٦٥٣/٤٣٦/١٢)، ت (٢٧٥١/١٢٥/٤)، جه (١٠٧٨/٣٤٢/١).

له عند الله عهدٌ، إن شاء عذَّبه وإن شاء غفر له»[1] .

فلما ردّ رسول الله ﷺ أمرَ من لم يأتِ بهنّ إلى مشيئة الله، علمنا أن تركهنّ دون الكفر والشرك، لأن الله قال: **﴿إنّ الله لا يغفرُ أن يشركَ به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أوَّل ما يحاسبُ به العبدُ المسلمُ يومَ القيامةِ الصلاةُ المكتوبة، فإنْ أتمّها وإلاّ قيل: انظروا: هل له من تطوع، فإن كان له تطوُّعٌ أكملت الفريضةُ من تطوّعه، ثم يفعل بسائر الأعمال المفروضة مثل ذلك»[3] .

فلما كان النقص في الفرائض يكمّل من النوافل، دل على أن الترك مع الاعتقاد ليس كفراً أكبر، لأن الكافر لا يقبل منه عمل.

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدرُسُ الإسلامُ كما يَدرسُ وشيُ الثوب حتى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسكٌ ولا صدقةٌ، وليُسرَى على كتاب الله عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ، يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها». فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلاّ الله، وهم لا يدرون ما صلاةٌ ولا صيامٌ ولا نسكٌ ولا صدقةٌ؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردَّها عليه ثلاثاً. كلُّ ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه الثالثة فقال: يا صلةُ تنجيهم من النار. ثلاثاً»[4] .

ولعل هؤلاء هم المرادون في قول النبي ﷺ في حديث الشفاعة:

«ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع. فأقول: يا رب! ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. قال: ليس

---

(١) مسا (٢٦٦/ ٩٠)، أ (٨٢/ ٢٣٤/ ٢)، د (٤٢١/ ٩٣/ ٢)، جه (١٤٠١/ ١٩٩/ ١)، نس (٢٣٠/ ١).

(٢) النساء ٤٨.

(٣) سبق.

(٤) جه (٤٠٤٩/ ١٣٤٤/ ١).

ذاك لك. ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي، لأخرجنّ من قال: لا إله إلا الله»[1] .

ولكن مع قولنا بأن المتهاون بالصلاة لا يخرج عن الإسلام، إلا أنه حسْبُه أن يسمى كافراً، وكفى بهذه التسمية زاجراً، فعلى المتهاون بالصلاة أن يبادرَ بالتوبةِ إلى الله، وأن يحافظ على الصلاة، فالموت يأتي بغتة، ولا مجال للعمل بعد الموت.

قال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾[2] .

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[3] .

صفة الوضوء والتيمم، وصفة الصلاة، ووجوب الجماعة

إنّما نتحدثُ عن ذلك لأن كثيراً من المسلمين أخذ هذه العبادات عن طريق النظر في أفعال الناس، من غير فقهٍ ولا علمٍ، ولا نظرٍ في أفعال رسول الله ﷺ.

والواجب على كلّ مسلمٍ أن يكون على بصيرة من دينه، أن يكون على بيّنة من أمره، أن يكون على هدىً ونورٍ في كل فعلٍ يفعله، وفي كل أمرٍ يأتيه، فهذه هي صفة أتباع النبيْ ﷺ كما قال تعالى: **﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرةٍ أنا ومن اتبعني﴾**[4] .

وهذه صفة الوضوء كما صحّ بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ:

عن حُمران مولى عثمان: «أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوءٍ فتوضأ: فغسل كفَّيه ثلاث مراتٍ، ثم مضمض واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاث

---

(١) م (١٩٣-٣٢٦/ ١٨٢/ ١).

(٢) فاطر ٥.

(٣) التحريم ٦.

(٤) يوسف ١٠٨.

مراتٍ، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاث مراتٍ، ثم غسل يده اليسرى مثل ذلك، ثم مسحَ رأسه، ثم غسل رجلَه اليمنى إلى الكعبين ثلاث مراتٍ، ثم غسل اليسرى مثل ذلك، ثم قال:

رأيتُ رسولَ الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال رسول الله ﷺ: «من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قام فركع ركعتين لا يُحدّث فيهما نفسه غُفر له ما تقدم من ذنبه». قال ابن شهاب: وكان علماؤنا يقولون: هذا الوضوء أسبغ ما توضأ به أحد للصلاة»[1].

ويجب أن يتقدّم على هذه الأفعال: النيّة، لأنَّ النيّة شرطٌ في صحة العبادات كلّها لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[2].

والنية محلّها القلب، فلا يُشرع التلفظُ بها عند الوضوء ولا عند الصلاة ولا غيرهما،

لا يُشرع أن يقول المتوضيء: نويت الوضوء، أو استباحة الصلاة، أو نحو ذلك.

إنما إذا أراد الوضوء استحضر النيّة في قلبه، فالنية محلها القلب.

ثم يقول: بسم الله، فالتسميةُ بين يدِي الوضوء شرطٌ في صحته، لقوله ﷺ:

«لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوءَ لمن لم يذكر اسم الله عليه»[3].

ويسنّ أن يستاك، لقوله ﷺ: «لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسواك مع الوضوء»[4].

ويسنّ إذا فرغ أن يقول: أشهدُ أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريكَ له،

---

(١) م (٢٢٦/ ٢٠٤/ ١) وهذا لفظه، خ (١٥٩/ ٢٥٩/ ١)، د (١٠٦/ ١٨٠/ ١)، نس (٦٤/ ١).

(٢) خ (١/ ٩/ ١)، م (١٩٠٧/ ١٥١٥/ ٣)، د (٢١٨٦/ ٢٨٣/ ٦)، ت (١٦٩٨/ ١٠٠/ ٣)، جه (٤٢٧/ ١٠٠/ ٣)، جه (٤٢٢٧/ ١٤١٣/ ٢)، نس (٥٩/ ١).

(٣) د (١٠١/ ١٧٤/ ١)، جه (٣٩٩/ ١٤٠/ ١).

(٤) أ (١٧١/ ٢٩٤/ ١).

وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، فقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولهُ فتحت له أبواب الجنة الثمانية، يدخل من أيِّها شاء»[١] .

ويستحب أن يزيد: «اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين[٢] ، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاَّ أنت، أستغفِرُك وأتوب إليك»[٣] .

فإذا كان المتوضىء لابساً خفّيه أو جورَبيه أو نَعلَيهِ على طهارة فيسنّ له المسحُ على ما في رجليه، وهذا المسح سنَّةٌ ثابتةٌ عن الرسول ﷺ ورخصةٌ للمتوضىء:

عن المغيرة بن شعبة أنه كان مع النبي ﷺ في سفر، فصبّ له وضوءه، حتى إذا غسل النبي ﷺ يديه أهوى المغيرة لينزع خفيه فقال ﷺ: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين»[٤] .

وقد وقَّت الرسول ﷺ المسح: للمقيم يوم وليلة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن[٥] . فإذا نزع الرَّجل خُفّيه، أو انتهت مدة المسح، وكان على طهارة، فهو على طهارته حتى يحدث فإذا أحدث وأراد الوضوء لم يجز له أن يمسح على خُفّيه حتى يغسل رجليه ويلبسهما على طهارة، ثم يستأنف مدة جديدة.

صفة التيمم:

فإذا فقد الرجلُ الماءَ، أو عجز عن استعماله لمرضٍ ونحوه، فقد قال تعالى: ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا﴾[٦] . والتيمم ضربةٌ واحدةٌ على الأرض بكفيه، ثم يمسح وجهه وكفيه، لحديث عمار بن ياسر:

---

(١) م (٢٣٤/ ٢٠٩/ ١).
(٢) ت (٥٥/ ٣٨/ ١).
(٣) كم (٥٦٤/ ١).
(٤) م (٢٧٤/ ٢٣٠/ ١). خ (٢٠٦/ ٣٠٩/ ١). [illegible]
(٥) م (٢٧٦/ ٢٣٢/ ١). نس (٨٤/ ١).
(٦) [illegible]

أنه كان في سفر فأجنب فلم يجد الماء، فتمرَّغ في التراب ثم صلَّى، فلما عاد أخبر رسول الله ﷺ بفعله، فقال ﷺ: «إنما كان يكفيك أن تفعل هكذا، وضرب النبي ﷺ بيده الأرض ثم نفخ فيها، ومسح وجهه وكفيه»[1].

ومن ابتُلي بجرحٍ في عضوٍ من أعضاء الوضوء فلفّه، أو كسرٍ فجبره، سقط عنه غسلُ ذلك العضو، ولا يلزمه المسْحُ عليه، ولا التيمم عنه، لأن الإلزامَ بذلك تشريعٌ، ولم يأت في القرآن ولا في السنّة ما يدل على هذا التشريع، وقد قال تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[2]. وقال النبي ﷺ: «**ما أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[3].

[ويرى جمهور العلماء المسح قياساً على مسح الخف والعمامة والخمار].

صفة الصلاة[4]:

تقدمت صفة الوضوء والتيمم كما صحت بذلك الأحاديثُ عن رسول الله ﷺ، وهذه هي صفة صلاةِ النبي ﷺ كما صحت بذلك الأحاديث أيضاً، على سبيل الإيجاز: كان ﷺ إذا قام إلى الصلاة استقبل القبلة، ثم رفع يديه وقال: الله أكبر، ولم يقل نويت أصلّي لله تعالى فرض كذا، ولا شيئاً من ذلك، ثم وضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره، ورمى ببصره نحو موضع سجوده.

وكان ﷺ يستفتح بدعاءٍ من أدعية الاستفتاح، ومنها قوله ﷺ: «سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدُّك، ولا إله غيرك» وبأي دعاءٍ استفتح المصلّي جاز.

ثم كان يقول: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم. ثم يقرأ الفاتحة، يرتلها ترتيلاً، ويقطعها آية آية. فإذا قال: ولا الضّالين، قال: آمين. ثم يقرأ ما تيسر له من القرآن بعد ذلك. ثم يرفعُ يديه ويكبر، ثم يركعُ، وكان

---

(١) خ (٣٤٧/٤٥٥/١)، م (٣٦٨/ ٢٨٠/ ١)، د (٣١٧/ ٥١٤/ ١)، نس (٦٦/ ١).
(٢) التغابن ١٦.
(٣) م (١٣٣٧/ ٩٧٥/ ٢)، نس (١١٠/ ٥).
(٤) راجع «صفة صلاة النبي ﷺ» للألباني.

إذا ركع بسط ظهرَه ومدَّه واعتدل، ولم ينصب رأسه ولم يخفضه. وكان يقول: سبحان ربي العظيم ثلاثاً، وربما زاد وبحمده وكان يقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح. ويقول: سبحانك اللهم وبحمدك. اللهم اغفر لي. وغير ذلك من الأذكار. ثم يرفع رأسه قائلاً: سمع الله لمن حمده، فإذا اعتدل قال: ربّنا ولك الحمد، وربما زاد على ذلك: ملء السموات وملء الأرض وما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد، أهلَ الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبدُ، وكلّنا لك عبد، لامانع لما أعطيت، ولا معطيَ لما منعتَ ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ. وكان يقول: «لا تجزيءُ صلاةٌ لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود».

ثم كان يكبّر ويخرّ ساجداً، ويضع يديه قبل ركبتيه، وكان يقول: «إذا سجد أحدكم فلا يبركُ كما يبرَك البعيرُ، وليضع يديه قبل ركبتيه.

وكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، ثلاثاً، وربما زاد «وبحمده». وربما قال ما ذكرناه في الركوع. ثم كان ﷺ يرفع رأسه مكبراً، ثم يجلسُ مفترشاً، يفرشُ رجلَه اليسرى ويجلس عليها، وينصبُ اليمنى، ثم يقول: رب اغفر لي رب اغفر لي، وربما قال: اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وعافني وارزقني. ثم يسجد السجدة الثانية كالأولى، ثم يرفع رأسه مكبراً، ويجلسُ مفترشاً جلسةً خفيفةً، تُسمّى جلسة الاستراحةِ، ثم ينهض معتمداً على يديه، فيفعل في الركعة الثانية ما فعل في الأولى. ثم يجلس مفترشاً ويقرأ التشهد، ثم يسلّم عن يمينه وشماله: السلام عليكم ورحمة الله، السلام عليكم ورحمة الله، وكان أحياناً يزيد «وبركاته» في التسليمة الأولى.

هذه هي صفة صلاة النبي ﷺ، وقد قال: «صلُّوا كما رأيتموني أصلي»[(١)] . وقد أمر بذلك المسيء صلاته فقال له: «إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر لك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئنّ جالساً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها»[(٢)] .

---

(١) خ (٢/١١١/٦٣١).

(٢) خ (٢/٢٧٦/٧٩٣)، (١/٢٩٨/٣٩٧)، د (٣/٩٣/٨٤١)، ت (١/١٨٦/٣٠٢)،

إخوة الإيمان:

﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين**﴾[1] . واعلموا أنَّ من المحافظة على الصلاة المحافظة على الجماعةِ فيها، فشهودُ الجماعةِ فرضٌ واجبٌ إلا من عذر، لقوله ﷺ: «من سمعَ النداءَ فلم يأتِهِ فلا صلاةَ له إلا مِنْ عذرٍ»[2] . وقد أمر الله تعالى بالجماعة فقال: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾[3] .

وقد أمر الله تعالى بالجماعة في الحرب فقال: ﴿**وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك..**﴾[4] الآية. وإذا كان قد أمر بها في الحرب ففي الأمن أولى.

وجعل النبي ﷺ التخلف عنها من خصائص المنافقين، وتوعَّدهم بتحريق بيوتهم، فقال: «**أثقل صلاةٍ على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاةُ الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام، ثم آمر رجلاً فيصلّي بالناس، ثم أنطلق معي برجالٍ معهم حُزم من حطبٍ إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرّق عليهم بيوتهم بالنار**»[5] .

ولقد كان معلوماً لدى أصحاب رسول الله ﷺ أنه لا يتخلف عن الجماعة إلا منافق، ولذا روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه قال:

«من سرّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ، فإن الله شرعَ لنبيكم سنن الهدى، وإنهنّ من سنن الهدى، ولو أنكم صلّيتم في بيوتكم كما يصلّي هذا المتخلّف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يُؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في

= جه (١٠٦٠/٣٣٦/١)، نس (١٢٤/٢).

(١) البقرة ٢٣٨.

(٢) جه (٧٩٣/٢٦٠/١).

(٣) البقرة ٤٣.

(٤) النساء ١٠٢.

(٥) م (٦٥١/٤٥١/١)، خ (٦٥٧/١٤١/٢).

الصف»[1] .

أحكام صلاة الجمعة

قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوا إلى ذكر الله وذَروا البيعَ ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون * فإذا قُضيتِ الصلاةُ فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون﴾[2] . وقال ﷺ: «رواحُ الجمعة واجبٌ على كلّ محتلم»[3] .

إنَّ صلاة الجمعة فرضُ عينٍ على كل مسلمٍ بالغٍ، عاقلٍ، حرٍ، ذكرٍ، صحيحٍ، مقيمٍ.

قال ﷺ: «الجمعة حق واجب على كل مسلم إلاَّ أربعة: عبدٌ مملوكٌ، أو صبيٌّ، أو امرأةٌ، أو مريضٌ»[4] . وقال ﷺ: «ليس على مسافرٍ جمعةٌ»[5] .

فمن توفرت فيه هذه الشروطُ كان شهودُ الجمعة فرضاً عليه، ولا يجوز له تركُها، وأما العبدُ والصبيّ، والمرأة، والمريض، والمسافر، فلا تجب عليهم الجمعة، لكن إن شهدوها أجزأتهم، ومن أنكر فرضية الجمعة، فقد كفر وخرج عن الإسلام، لأنه أنكر واجباً من الواجبات المعلومة من الدين بالضرورة.

معشر المسلمين:

إنَّ رسول الله ﷺ رغّب في حضور الجمعة وحثَّ عليها، وبيّن عظيمَ فضلها، وكثرةَ ثوابِ من حضرها. فقال ﷺ: «الصلوات الخمس، والجمعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضانَ مكفّراتٌ لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر»[6]

---

(١) م (٦٥٤_٢٥٧_/٤٥٣/ ١)، د (٥٤٦/ ٢٥٤/ ٢)، جه (٧٧٧/ ٢٥٥/ ١)، نس (١٠٨/ ٢).

(٢) الجمعة ٩.

(٣) نس (٨٩/ ٣).

(٤) د (١٠٥٤/ ٣٩٤/ ٣)، قط (٢/ ٣/ ٢)، هق (١٧٢/ ٣)، كم (٢٨٨/ ١).

(٥) قط (٤/ ٤/ ٢).

(٦) م (٢٣٣_١٦_/٢٠٩/ ١)، ت (٢١٤/ ١٣٨/ ١)وليس عنده جملة «ورمضان إلى رمضان».

وقال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوءَ، ثم أتىٰ الجمعة فاستمع وأنصت، غُفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ، ومن مس الحصا فقد لغا»[1].

وكما حثّ ﷺ على حضور الجمعة فقد حذّر من التخلّف عنها لغير عذر، وبيّن أن التخلّف لغير عذر من الأسباب الموجبة للختم على القلب، فلا يكادُ يفقهُ شيئاً.

قال ﷺ: «من ترك ثلاثَ جمعٍ تهاوناً بها طبع الله على قلبه»[2].

وعن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم قالا: سمعنا رسول الله ﷺ يقول وهو على أعوادِ منبره: «لينتهين أقوامٌ عن ودْعِهُم الجمعاتِ أو ليختمنّ الله على قلوبهم، ثم ليكونن من الغافلين»[3].

وقال ﷺ: «لقد هممتُ أن آمر بالصلاة فتقامُ، ثم آمر رجلاً فيصلّي بالناس، ثم أنطلق إلى أقوامٍ لا يشهدونَ الجمعة فأحرق عليهم بيوتهم»[4].

فحافظ يا عبد الله على صلاة الجمعة ولا تضيّعها، واعلم أنّ رسول الله ﷺ قد أرشدنا إلى الآداب التي ينبغي فعلها يوم الجمعة، فخذ نفسك بهذه الآداب إيماناً واحتساباً.

ومنها: الإكثار من الصلاة عليه ﷺ ليلة الجمعة ويومَها، لقوله ﷺ:

«إنّ من أفضلِ أيّامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْت ـ أي بليت ـ؟ قال: إنَّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[5].

ومنها قراءة سورة الكهف، لقوله ﷺ: «من قرأ سورةَ الكهفِ في يوم الجمعة أضاءَ له من النور ما بين الجمعتين»[6].

---

(١) م (٨٥٧ـ٢٧/٥٨٨/٢)، د (١٠٣٧/٣٧٤/٣)، ت (٥٩٦/٥/٢).
(٢) د (١٠٣٩/٣٧٧/٣)، ت (٤٩٨/٥/٢)، جه (١١٢٥/٣٥٧/١)، نس (٣/٨٨).
(٣) م (٨٦٥/٥٩١/٢)، نس (٣/٨٨).
(٤) م (٦٥٢/٤٥٢/١).
(٥) د (١٠٣٤/٣٧٠/٣)، جه (١٠٨٥/٣٤٥/١)، نس (٣/٩١).
(٦) كم (٢/٣٦٨)، هق (٣/٢٤٩).

ومنها: الغسلُ عند الرواح إلى الجمعة، لقوله ﷺ: «غسلُ الجمعةِ واجبٌ على كلِّ محتلم»[1].

ومنها: الدّهنُ والطيبُ، لقوله ﷺ: «لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعةِ ويتطهَّر ما استطاع من طهر، ويدّهن من دهنه، أو يمسّ من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرّق بين اثنين، ثم يصلّي ما كُتب له، ثم يُنصت إذا تكلم الإمام، إلاّ غُفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[2].

ومنها: التبكيرُ إلى المسجد، لقوله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة غُسلَ الجنابة ثم راحَ فكأنّما قرّب بدنةً، ومن راحَ في الساعة الثانية فكأنّما قرّب بقرةً، ومن راحَ في الساعةِ الثالثة فكأنّما قرّب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنّما قرّب دجاجةً، ومن راحَ في الساعة الخامسة فكأنّما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرتِ الملائكةُ يستمعون الذكر»[3].

فإذا دخل المسجد فليقدّم رجلَه اليمنى ثم يقول: أعوذُ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانِهِ القديم من الشيطان الرجيم[4]. بسم الله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمدٍ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبوابَ رحمتك»[5].

ثم يتقدّم إلى الصفوف الأولى فيتمّها، عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرجَ علينا رسول الله ﷺ فرآنا حِلَقاً. فقال: «مالي أراكم عزين»؟ ثم خرج بعد ذلك فقال: «ألا تصفُّون كما تصفّ الملائكة عند ربّها»؟ قالوا: يا رسول الله، وكيف تصفّ الملائكةُ عند ربّها؟ فقال: «يتمُّون الصفّ الأوّل فالأوّل، ويتراصّون في الصف»[6].

وإذا كان رسولُ الله ﷺ حثَّ على التبكير فقد حذّر من التأخّر، فعن أبي

---

(١) خ (٢/٣٥٧/٨٧٩)، م (٢/٥٨٠/٨٤٦)، د (٢/٤/٣٣٧)، جه (١/٣٤٦/١٠٨٩)، نس (٣/٩٣).

(٢) خ (٢/٢٧٠/٨٨٣).

(٣) خ (٢/٣٦٦/٨٨١)، م (٢/٥٨٢/٨٥٠)، د (٢/١٤/٣٤٧)، ت (٢/٥/٤٩٧)، نس (٣/٩٧).

(٤) د (٢/١٣٢/٤٦٢).

(٥) جه (١/٢٥٣/٧٧١)، ت (١/١٩٧/٣١٣).

(٦) م (١/٣٢٢/٤٣٠)، د (٢/٣٦١/٦٤٧)، نس (٢/٩٢)، جه (١/٣١٧/٩٩٢).

سعيد الخدري رضي الله عن قال: رأى رسول الله ﷺ في أصحابه تأخراً، فقال: «تقدّموا فأتمّوا بي وليأتمّ بكم من بعدَكم، وما زال قومٌ يتأخّرون حتى يؤخِّرهم الله»[1] .

فإذا دخل المسجد فليصلّ ركعتين قبل أن يجلس، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس»[2] .

فإذا صلّى تحيةَ المسجد فإن شاءَ صلّى ما كُتبَ له، وإن شاءَ اشتغل بذكر الله عزّ وجلّ، كقراءةِ قرآنٍ، أو استغفارٍ، أو تسبيح، أو صلاةٍ على النبي ﷺ ونحو ذلك، حتى يخرجَ الإمامُ، فإذا خرجَ الإمامُ أقبلَ عليه، واستمع له وأنصتَ، وليحذر من الكلام أثناءَ الخطبة، فقد قال ﷺ: «إذا قلت لصاحبك يومَ الجمعة والإمام يخطبُ أنصتْ فقد لغوت»[3] .

وقولُ القائل لصاحبه «أنصت» من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومع ذلك فقد سمّاه النبي ﷺ لغواً، وذلك من باب ترجيح الأهم، وهو الإنصاتُ لموعظةِ الخطيبِ على المهمّ وهو الأمر بالمعروف أثناء الخطبة، وإذا كان الأمر كذلك، فكل ما كان في رتبة الأمر بالمعروف: كتشميتِ العاطس، وردّ السلام، ومتابعة الخطيب على ذكر الله، أو الصلاة على رسول الله، ونحو ذلك، فحكمه حكمُ الأمر بالمعروف، وما كان دونه في الرتبة فهو أولى بالمنع. فإذا انصرف الإمام من الصلاة استُحبّ لكل مصلٍّ أن يأتي بالأذكار المشروعة عقب الصلاة بأن يقول: «أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله[4] . اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام[4] . اللَّهمَّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك[5] .

---

(١) م (٤٣٨/ ٣٢٥/ ١)، د (٦٦٦/ ٣٧٥/ ٢)، جه (٩٧٨/ ٣١٣/ ١)، نس (٨٣/ ٢).

(٢) خ (٤٤٤/ ٥٣٧/ ١)، م (٧١٤/ ٤٩٥/ ١)، ت (٣١٥/ ١٩٨/ ١)، جه (١٠١٣/ ٣٢٤/ ١)، نس (٥٣/ ٢)، د (٤٦٣/ ١٣٣/ ٢).

(٣) خ (٩٣٤/ ٤١٤/ ٢)، م (٨٥١/ ٥٨٣/ ٢)، جه (١١١٠/ ٣٥٢/ ١)، نس (١٠٤/ ٣)، د (١٠٩٩/ ٤٦٠/ ٣)، ت (٥١١/ ١٢/ ٢).

(٤) م (٥٩١/ ٤١٤/ ١)، ت (٢٩٩/ ١٨٤/ ١)، د (١٤٩٩/ ٣٧٧/ ٤)، جه (٩٢٨/ ٣٠٠/ ١)، نس (٦٨/ ٣).

(٥) د (١٥٠٨/ ٣٨٤/ ٤)، نس (٦٨/ ٣).

لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حولَ ولا قوةَ إلاَّ بالله، لا إله إلاَّ الله، ولا نعبد إلاَّ إياه، له النعمة، وله الفضلُ، وله الثناءُ الحسنُ، لا إله إلاَّ الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون»[1] .

لا إله إلاَّ الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللَّهم لا مانع لما أعطيتَ ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ[2] .

ثم يقرأ آية الكرسي[3] والإخلاص والمعوذتين[4] . ثم يقول: سبحان الله، ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله، ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر، ثلاثاً وثلاثين، ثم يقول تمام المائة: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[5] .

ثم يقوم فيصلي سنة الجمعة، لقوله ﷺ: «إذا صلّى أحدكم الجمعة فليصلِّ بعدها أربعاً»[6] .

والأفضل أن يصلِّيها في بيته، فقد كان ﷺ إذا انصرف من الجمعة لم يصلّ بعدها حتى يدخل بيته فيصلي ركعتين[7] . وتلك هي السنّة في النوافل كلها، أن تكون في البيت، لقوله ﷺ: «أفضل صلاة المرء في بيته إلاَّ المكتوبة»[8] .

فإذا خرج المصلِّي من المسجد قدّم رجله اليسرى وقال: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك»[9] .

---

(١) م (٥٩٤/ ٤١٥/ ١)، د (١٤٩٢/ ٣٧٢/ ٤)، نس (٧٠/ ٣).

(٢) خ (٨٤٤/ ٣٢٥/ ٣)، م (٥٩٣/ ٤١٤/ ١)، د (١٤٩١/ ٣٧١/ ٤)، نس (٧٠/ ٣).

(٣) طب (٧٥٣٢/ ١٣٤/ ٨).

(٤) د (١٠٥٩/ ٣٨٥/ ٤)، نس (٦٨/ ٣).

(٥) م (٥٩٧/ ٤١٨/ ١).

(٦) م (٨٨١/ ٦٠٠/ ٢)، جه (١١٣٢/ ٣٥٨/ ١)، د (١١١٨/ ٤٨١/ ٣)، ت (٥٢٢/ ١٧/ ٢).

(٧) م (٨٨٢/ ٦٠٠/ ٢)، خ (٩٣٧/ ٤٢٥/ ٢).

(٨) خ (٧٣١/ ٢١٤/ ٢)، نس (١٩٨/ ٣)، م (٧٨١/ ٥٣٩/ ١)، د (١٤٣٤/ ٣٢١/ ٣) ولفظ الأخيرين «فإن خير صلاة المرء».

(٩) هذا من جملة الحديث السابق في ذكر الدخول، وقد سبق تخريجه.

ولقد كان من هديه ﷺ في فجر الجمعة أن يقرأ بسورتي السجدة والإنسان كاملتين[1] ، وذلك لأنهما تتحدثان عن المبدأ والمعاد وما بينهما، وما بعد المعاد من الحساب والجزاء، والجنّة والنّار، ففي قراءتهما تذكير للمسلمين بما كان وما يكون في يوم الجمعة، وذلك أن فيه خُلق آدم وفيه تقوم الساعة، فكأنه ﷺ أراد أن يقول: إذا علمتم أن الساعة تكون يوم الجمعة، فهذا يومُ الجمعة، وهذا ما يكون إذا جاءت الساعة، فماذا أعددتم لها ؟.

هذا ما أراده النبي ﷺ من قراءة هاتين السورتين يومَ الجمعة، فظّن بعض الناسِ أنه إنما أراد السجدة، وأنَّ من خصائص يوم الجمعة اختصاصَ فجره بسجدة التلاوة، فتراهم يقرؤون من السجدة آيتين قبل موضع السجدة ثم يسجدون، ثم يقومون فيقرؤون آيتين ثم يركعون فإذا قاموا في الثانية قرؤوا آيتين من الإنسان ثم ركعوا، وإن لم يفعلوا هذا قرؤوا بسورةٍ فيها سجدة حتى يسجدوا، لظنهم أن سجود التلاوة من لوازم فجر الجمعة، علماً بأنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه سجد حين أتى على موضع السجدة. فثبتت القراءة ونُقلت ولم يُنقل السجودُ، كما قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في فتح الباري[2]

ولذا استحب العلماء أن لا يداومَ أئمةُ المساجد على قراءةِ السورتين كلَّ جمعة، وإذا قرؤوهما سجدوا أحياناً، وتركوا أحياناً.

هذا هو هديه ﷺ، وخير الهدي هديهُ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلُّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وكلُّ ضلالةٍ في النار.

---

(١) خ (٨٩١/ ٢/٣٧٧)، م (٨٨٠/ ٥٩٩/ ٢)، نس (١٥٩/ ٢).
(٢) (٣٧٩/ ٢).

الركن الثالث: الزكاة

الزكاة اسم لهذا القدر من المال الذي يدفعه الأغنياء للفقراء.

وسميت زكاة لأنها تزكي المال وتنميه، كما تزكي صاحبها وتطهره من دنس البخل والشح. قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**[1].

والزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، وفريضة من فرائض هذا الدين، وقد دلّ على فرضيتها الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾**[2].

وقال تعالى: **﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم﴾**[3]

وقد قرنت الزكاة بالصلاة في اثنتين وثمانين آية.

وقال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[4]، ولما سأل جبريل النبي ﷺ عن الإسلام ذكر له هذه الخمس ولما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قال له:

«إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنِّي رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم

---

(١) التوبة ١٠٣.

(٢) البقرة ٤٣.

(٣) الحج ٧٨.

(٤) خ (٨/٤٩/١)، م (١٦/٤٥/١)، نس (١٠٧/٨)، ت (٢٧٣٦/١١٩/٤) واللفظ له.

صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[(١)] .

وأجمعت الأمة على وجوب الزكاة وأنها إحدى فرائض الدين.

وقد كثر في القرآن الكريم وأحاديث النبي العظيم الحث على إخراج الزكاة، والترغيب في أدائها، والترهيب من منعها.

قال تعالى: ﴿**الٓمٓ * تلك آيات الكتاب الحكيم * هدى ورحمة للمحسنين * الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون**﴾[(٢)] . وقال تعالى: ﴿**إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾[(٣)] .

وقال تعالى: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله**﴾[(٤)] .

وقال تعالى: ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شرّ لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة**﴾[(٥)] .

قال رسول الله ﷺ: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّل له ماله شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوّقه يوم القيامة، ثم يأخذه بلهزمتيه - يعني شدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك، ثم تلا رسول الله ﷺ الآية ﴿**ولا يحسبن الذين يبخلون...**﴾[(٦)] .

---

(١) خ (١٤٩٦/٣٥٧/٣)، م (١٩/٥٠/١)، د (١٥٦٩/٤٦٧/٤)، نس (٥٥/٥)، جه (١٧٨٣/٥٦٨/١)، ت (٦٢١/٦٩/٢).
(٢) لقمان ١-٤.
(٣) الذاريات ١٥-١٩.
(٤) التوبة ٧١.
(٥) آل عمران ١٨٠.
(٦) خ (٤٥٦٥/ ٢٣٠/٨).

وقال تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾[1] .

قال رسول الله ﷺ: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلاَّ إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد، فيرىٰ سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار»[2] .

ما حكم مانعها ؟

قال العلماء: من أنكر فرضية الزكاة ووجوبها فهو كافر خارج عن الإسلام، لأن فرضية الزكاة معلومة من الدين بالضرورة، وكل من أنكر ما هو معلوم من الدين فرضيته بالضرورة فهو كافر خارج عن الإسلام.

أما من أقر بوجوب الزكاة وفرضيتها ثم غلبه الشح فلم يؤدها فقد قال العلماء: يجب على الحاكم أن يأخذها منه قهراً، ويأخذ شطر ماله عقوبة، لقوله ﷺ: «في كل سائمة إبل: في كل أربعين بنت لبون، ولا تفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجراً فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا، ليس لآل محمد منها شيء»[3] .

وإذا اجتمع أهل بلد على منع الزكاة وكانت لهم شوكة وغلبة قاتلهم الحاكم حتى يأخذها منهم قهراً، كما فعل خليفة رسول الله، أبو بكر الصديق رضي الله عنه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لما تُوفي النبي ﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلاَّ الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه

---

(١) التوبة ٣٤، ٣٥.
(٢) م (٩٨٧/ ٦٨٠/ ٢)، د (١٦٤٢/ ٧٥/ ٥).
(٣) د (١٥٦٠/ ٤٥٢/ ٤)، نس (١٥/ ٥).

على الله» ؟ فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»[1] .

على من تجب الزكاة ؟

تجب الزكاة على كل مسلم، حر، مالك للنصاب، لا فرق بين الذكر والأنثى، ولا بين الصغير والكبير.

متى تجب ؟

تجب الزكاة إذا حال على النصاب حول وهو في ملك المالك، لقوله ﷺ: «لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول»[2] .

ويستثنى من ذلك الزرع، فإن زكاته واجبة على الفور وقت حصاده، لقوله تعالى: ﴿**وآتوا حقه يوم حصاده**﴾[3] .

والنصاب لا يقدر بمبلغ من المال معلوم، وإنما هو مقيد بسعر الذهب والفضة، ونصاب الذهب عشرون مثقالاً، قيل أنها تساوي بالوزن الحاضر ستة وثمانين غراماً. ونصاب الفضة مائتا درهم.

فمن ملك من المال ما يساوي قيمة نصاب الذهب أو الفضة، وحال عليه الحول فقد وجبت عليه الزكاة. والزكاة واجبة على الفور إذا حال الحول، ولا يجوز حبسها أو تأخيرها، فبمرور الحول وجب عليك أيها الغني في مالك حق للفقير، فيجب عليك المبادرة والإسراع إلى أداء هذا الحق لصاحبه.

لا يجوز تأخير الزكاة إذا حال الحول، ولكن يجوز تعجيلها[4] ، بشرط أن

---

(١) خ (١٤٠٠/ ٢٦٢/٣)، م (٢٠/ ٥١/ ١)، د (١٥٤١/ ٤١٤/ ٤)، ت (٢٧٣٤/ ١١٧/ ٤)، نس (١٤/ ٥).

(٢) جه (١٧٩٢/ ٥٧١/ ١)، قط (٣/ ٩٠/ ٢)، هق (٩٥/ ٤).

(٣) الأنعام ١٤١.

(٤) لحديث عليّ: «أن العباس سأل النبي ﷺ في تعجيل الصدقة قبل أن تحلّ، فرخّص له في ذلك». رواه: د (١٦٠٨/ ٢٧/ ٥)، ت (٦٧٣/ ٩٣/ ٢)، جه (١٧٩٥/ ٥٧٢/ ١).

تكون النية وقت الدفع على أن هذا المدفوع من الزكاة[1] .

ما حكم المالك المدين ؟

رجل عنده مال وعليه دين، فكيف يُزكي ؟ يجب عليه أن يميز دينه من ماله، فإن كان معه عشرة ـ مثلاً ـ وعليه خمسة، وجبت عليه الزكاة في الخمسة التي يملكها، وأما الخمسة الأخرى فليس فيها زكاة.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ليس في الدين زكاة»[2] .

وعن السائب بن يزيد أنه سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه خطيباً على منبر رسول الله ﷺ يقول: «هذا شهر زكاتكم» فمن كان عليه دين فليقض دينه، حتى تخلص أموالكم فتؤدوا منها الزكاة»[3] .

«وتجب الزكاة في الديون التي للإنسان، وهي الديون التي له على الناس، إذا كانت حالّة أو مؤجّلة فيزكيها كل سنة إن كانت على غنى، لكن إن شاء أدى زكاتها قبل قبضها مع ماله، وإن شاء انتظر حتى يقبضها فيزكيها لكل ما مضى.

أما إن كانت الديون على فقير فلا زكاة على من هي له حتى يقبضها فيزكيها سنة واحدة عما مضى، لأنها قبل قبضها في حكم المعدوم»[4] .

ما حكم المال المستفاد [أثناء العام ولم يحل عليه الحول] ؟

رجل يزكي في رمضان ـ مثلاً ـ استفاد مالاً في رجب، فهل يجب عليه أن يزكي المال المستفاد في رمضان مع رأس المال، أم ينتظر حتى يحول الحول على المال المستفاد ؟

لا شك أن الزكاة واجبة عليه، سواء عجّلها أم أخّرها، ولكن العلماء يقولون: من باب التيسير على صاحب المال، يجب أن يخرج (في شهر زكاته) عن كل ما عنده من المال سواء زاد عن العام الماضي أم نقص، ما دام فوق النصاب.

---

(١) لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» وقد سبق.

(٢) ابن أبي شيبة (٣/١٦٣).

(٣) هق (٤/١٤٨).

(٤) الضياء اللامع لابن عثيمين (٤٤٨، ٤٤٩).

ما حكم العقارات المؤجرة والسيارات ؟

العقار نفسه، وكذا عين السيارة، ليس عليهما زكاه، وأما قيمة إيجار العقار فإنها إذا كانت نصاباً، وكان الإيجار سنوياً، فإنه إذا قبض الإيجار سلفاً لم تجب الزكاة فيه حتى يمضي عليه الحول، وإن قبض الإيجار مؤخراً بعد عام زكاة إذا قبضه، لأنه يملكه من يوم تأجير العقار.

وكذلك ناتج السيارة، إذا لم يدخر منه المالك شيئاً فلا زكاة عليه، وإذا ادخر من ناتجها قيمة النصاب، وحال عليه الحول وجبت عليه الزكاة.

ما حكم زكاة الحليّ ؟

حليّ المرأة ذهباً أو فضةً، اختلف العلماء في حكم زكاته:

فذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد إلى أنه لا زكاة في حليّ المرأة، وأما أبو حنيفة فقد قال: في الحليّ زكاة.

وقول أبي حنيفة هو الذي دل عليه الكتاب والسنة:

قال تعالى: ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾[١] فلم تستثن الآية ما كان حلياً.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال:

«أتت امرأة من أهل اليمن رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، في يدها مسكتان من الذهب، فقال: هل تعطين زكاة هذا ؟ قالت: لا، قال: أيسرك أن يسورك الله بهما سوارين من نار ؟»[٢] .

وعن عبد الله بن شداد الهاد أنه قال:

«دخلنا على عائشة زوج النبي ﷺ فقالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ فرأى في يدي فتخات من ورق، فقال: ما هذا يا عائشة ؟ فقلت: صنعتهن أتزين لك يا رسول الله، قال: أتؤدين زكاتهن ؟ قلت: لا، أوما شاء الله،

---

(١) التوبة ٣٤.

(٢) د (١٥٤٨/ ٤٢٥/ ٤)، نس (٣٨/ ٣)، ت (٦٣٢/ ٧٤/ ٢) بنحوه.

قال: هو حسبك من النار»[1] .

فأيّما امرأة ملكت نصاباً من الذهب أو الفضة، وحال عليه الحول، وجب عليها أن تزكي ما عندها.

القدر الواجب إخراجه:

القدر الواجب إخراجه في زكاة الذهب والفضة أو الأوراق المالية هو ربع العشر.

عن ابن عمرو وعائشة: أن النبي ﷺ كان يأخذ من كل عشرين ديناراً فصاعداً نصف دينار ومن الأربعين ديناراً ديناراً»[2] .

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «وفي الرقة ربع العشر»[3] .

زكاة المواشي[4] :

عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله، فمن سُئِلها من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سُئِل فوقها فلا يعط: في أربع وعشرين من الإبل فما دونها من الغنم، من كل خمس شاة، فإذا بلغت خمساً وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى، فإذا بلغت ستاً وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستاً وأربعين إلى ستين ففيه حقّة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت ـ يعني ستاً وسبعين ـ إلى تسعين ففيها بنتا لبون. فإذا بلغت إحدىٰ وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقّتان طروقتا الفحل. فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة.

---

(١) د (١٥٥٠/٤٢٧/٤)، كم (٣٨٩/١)، هق (١٣٩/٤).

(٢) جه (١٧٩١/٥٧١/١).

(٣) هذا جزء من كتاب أبي بكر المذكور، وسأذكر تخريجه قريباً.

(٤) هذه زيادة عن الخطبة، تتميماً للفائدة.

ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمساً من الإبل ففيها شاة.

وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاةٌ، فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان، فإذا زادت على مائتين إلى ثلاثمائة ففيها ثلاث، فإذا زادت على ثلاثمائة ففي كل مائة شاة، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين واحدة فليس فيها صدقة، إلا أن يشاء ربها. وفي الرقة ربع العشر، فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها»[1].

وعن معاذ «أن النبي ﷺ لما وجهه إلى اليمن أمره أن يأخذ من البقر من كل ثلاثين تبيعاً أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة»[2].

وشروط وجوب الزكاة في المواشي ثلاثة: النصاب، والحول، والسوم.

زكاة الزروع والثمار:

قال تعالى: ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله، والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه، كلوا من ثمره إذا أثمر، وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾[3].

ما تجب فيه الزكاة؟

لا تجب الزكاة في شيء من الزروع والثمار إلا في أربعة، بيّنها هذا الحديث:

عن أبي بردة عن أبي موسى ومعاذ بن جبل حين بعثهما رسول الله ﷺ إلى اليمن يعلمان الناس أمر دينهم: «لا تأخذوا الصدقة إلا من هذه الأربعة: الشعير، والحنطة، والزبيب، والتمر»[4].

---

(١) خ (١٤٥٤/٣١٧/٣)، د (١٥٥٢/٤٣١/٤)، نس (١٨/٥).
(٢) ت (٦١٩/٦٨/٢)، د (١٥٦١/٤٥٧/٤)، جه (١٨٠٣/٥٧٦/١)، نس (٢٦/٥).
(٣) الأنعام ١٤١.
(٤) كم (٤٠١/١)، هق (١٢٥/٤).

القدر الواجب إخراجه:

عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًّا العشر، وما سقى بالنضح نصف العشر»[1] .

ولا يشترط لوجوب الزكاة في الزروع والثمار إلا النصاب، وقد بيّنه ﷺ بقوله: «ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»[2] .

---

(١) خ (١٤٨٣/٣٤٧/٣) وهذا لفظه، د (١٥٨١/٤٨٥/٤)، نس (٤١/٥)، ت (٦٣٥/٧٦/٢)، جه (١٨١٧/٥٨١/١).

(٢) خ (١٤٤٧/٣١٠/٣)، م (٩٧٩/٦٧٣/٢)، ت (٦٢٢/٦٩/٢)، جه (١٧٩٣/٥٧١/١)، نس (١٧/٥).

الركن الرابع: الصيام

حكمه:

صيام رمضان واجب بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون**﴾[1] الآيات.

وقال النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»[2].

وقد أجمعت الأمة على أن صوم رمضان أحد أركان الإسلام، فمن أنكره وجحد فرضيته فهو كافر مرتد عن الإسلام، لأن فرضية الصيام قد علمت من الدين بالضرورة، فمن أنكر وجوب الصوم فهو كافر عن الإسلام، والعياذ بالله.

وأما من أقر بوجوبه، واعتقد فرضيته، ثم أفطر في رمضان لغير عذر، فهو عند العلماء شرٌّ من الزاني ومُدمن الخمر، بل يشكون في إسلامه، ويظنون به الزندقة والانحلال.

فضله:

ولقد كان رسول الله ﷺ يحث أصحابه على الصيام، ويبين لهم فضله وثوابه، وأثر عنه ﷺ في ذلك أحاديث: منها:

قوله ﷺ: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»[3].

وقوله ﷺ: «إن في الجنة باباً يقال له الريّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل

---

(١) ١٨٣-١٨٥.

(٢) سبق.

(٣) خ (٣٨/٩٢/١)، جه (١٦٤١/٥٢٦/١)، نس (١٥٧/٤).

منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا، أغلق فلم يدخل منه أحد»[1] .

وقوله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي، للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك»[2] .

على من يجب ؟

وصوم رمضان واجب على كل مسلم، بالغ، عاقل، صحيح، مقيم. ويشترط في حق المرأة أن تكون طاهرة من الحيض والنفاس.

أما الصبي والمجنون فلا يجب عليهما الصوم، لقول النبي ﷺ:

«رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل»[3] .

وينبغي لولي الصبي أن يأمره بالصوم ليعتاده من صغره، فلا يشق عليه عند بلوغه، وهكذا كانت تفعل نساء أصحاب رسول الله ﷺ بصبيانهن:

عن الربيّع بنت معوذ قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار: من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه، ومن أصبح صائماً فليصم. قالت: فكنا نصومه بعد، ونصوِّم صبياننا، ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك، حتى يكون عند الإفطار»[4] .

وأما المريض والمسافر فلا يجب عليهما الصوم، لكن إذا صح المريض وأقام المسافر قضيا، لقوله تعالى: **﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر﴾**[5] .

والأفضل للمسافر إن لم يجد مشقة أن يصوم، وإن وجد مشقة أن يفطر:

---

(١) خ (١٨٩٦/ ١١١/ ٤)، م (١١٥٢/ ٨٠٨/ ٢).
(٢) م (١١٥١_١٦٤_/ ٨٠٧/ ٢)، جه (١٦٣٨/ ٥٢٥/ ١).
(٣) ت (١٤٤٦/ ٤٣٨/ ٢)، د (٤٣٨٠/ ٧٨/ ١٢).
(٤) خ (١٩٦٠/ ٢٠٠/ ٤)، م (١١٣٦/ ٧٩٨/ ٢).
(٥) البقرة ١٨٤.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نغزو مع رسول الله ﷺ في رمضان فمنّا الصائم ومنّا المفطر، فلا يجد الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم، يرون أن من وجد قوة فصام فإن ذلك حسن، ويرون أن من وجد ضعفاً فأفطر فإن ذلك حسن»[1].

وإذا صام المريض والمسافر أجزأ عنهما.

أما الحائض والنفساء فلا يجوز منهما الصوم، لأن الطهارة من الحيض والنفاس شرط لصحة الصوم، فإذا طهرت المرأة وجب عليها قضاء الأيام التي أفطرت فيها عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[2].

من يرخص لهم في الفطر وعليهم الفدية: ؟

قال تعالى: **﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾**[3]. قال ابن عباس: ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فليطعمان مكان كل يوم مسكيناً»[4].

فالشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، وكذلك المريض الذي لا يرجى برؤه، والحبلى والمرضع هؤلاء جميعاً إذا عجزوا عن الصوم أفطروا وأطعموا كل يوم مسكيناً.

عن أنس بن مالك: «أنه ضعف عن الصوم عاماً، فصنع جفنة ثريد ودعا ثلاثين مسكيناً فأشبعهم»[5].

وعن ابن عباس قال: «إذا خافت الحامل على نفسها، والمرضع على ولدها في رمضان، يفطران، ويطعمان مكان كل يوم مسكيناً، ولا يقضيان صوماً»[6].

---

(١) م (١١١٦-٩٦/٧٨٧/٢)، ت (٧٠٨/١٠٨/٢).
(٢) سبق.
(٣) البقرة ١٨٤.
(٤) خ (٤٥٠٥/١٧٩/٨).
(٥) قط (١٦/٢٠٧/٢)، وعلق البخاري نحوه (١٧٩/٨).
(٦) عزاه الألباني في الإرواء (١٩/٤) للطبري (٢٧٥٨).

وعن نافع قال: «كانت بنت لابن عمر تحت رجل من قريش، وكانت حاملاً، فأصابها عطش في رمضان، فأمرها ابن عمر أن تفطر وتطعم عن كل يوم مسكيناً»[1].

أركان الصوم

للصوم ركنان: الأول: النية، لقوله تعالى: **﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾**[2]. وقال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[3].

وتجب النية من الليل قبل طلوع الفجر، لقوله ﷺ: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له»[4].

والنية محلها القلب، لا عمل للسان فيها، فلا يلزم أن يقول: نويت صيام غد، ونحو ذلك، لعدم ثبوته عن النبي ﷺ.

الركن الثاني: الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لقوله تعالى: **﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾**[5].

المفطرات:

١ـ الأكل والشرب عمداً، فمن أكل أو شرب عامداً، ذاكراً لصيامه فقد فسد صومه. أما من أكل أو شرب ناسياً، فقد قال ﷺ:

«من نسي وهو صائم فأكل أو شرب، فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه»[6].

٢ـ القيء عمداً، فمن وضع أصبعه في فيه فهيّج بطنه، أو غير ذلك من الأسباب فقد فسد صومه، وإذا غلبه القيء فلا حرج عليه، بهذا صرّح

---

(١) قط (٢/٢٠٧/١٥).
(٢) البينة ٥.
(٣) سبق.
(٤) د (٧/١٢٢/٢٤٣٧)، ت (٢/١١٦/٧٢٦)، نس (٤/١٩٦).
(٥) البقرة ١٨٧.
(٦) خ (٤/١٥٥/١٩٣٣)، م (٢/٨٠٩/١٥٥) واللفظ له.

رسول الله ﷺ في قوله: «من ذرعه القيء فليس عليه قضاء، ومن استقاء عمدا فليقض»[1].

٣ـ نزول الحيض أو النفاس على المرأة في أي لحظة من لحظات النهار، لأن الطهارة من الحيض والنفاس شرط في صحة صوم المرأة كما ذكرنا.

٤ـ الاستمناء [تعمداً] في اليقظة. (أما الاحتلام نهاراً فلا يؤثر في الصوم). ولا يلزم من أفطر بواحد من هذه المفطرات الكفارة.

٥ـ الجماع، فمن جامع في نهار رمضان فقد فسد صومه ولزمته الكفارة: وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، فإن لم يجد استقرت الكفارة في ذمته حتى يستطيع.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله: هلكت، قال: مالك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم. فقال رسول الله ﷺ: وهل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، قال: فهل تجد إطعام ستين مسكيناً؟ قال: لا. قال: فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن على ذلك أُتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر ـ والعرق المكتل ـ قال: أين السائل؟ قال: أنا. قال: خذ هذا فتصدق به. فقال الرجل: على أفقر مني يا رسول الله فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال: أطعمه أهلك»[2].

آداب الصوم:

١ـ السحور: لقوله ﷺ: «تسحروا فإن في السحور بركة»[3].

ويستحب تأخيره: عن أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: تسحّرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة. قلت: كم كان بين الأذان

---

(١) ت (٧١٦/ ١١١/ ٢) وهذا لفظه، د (٢٣٦٣/ ٦/ ٧)، جه (١٦٧٦/ ٥٣٦/ ١).

(٢) خ (١٩٣٦/ ١٦٣/ ٤)، م (١١١/ ٧٨١/ ٢)، د (٢٣٧٣/ ٢٠/ ٧)، ت (٧٢٠/ ١١٣/ ٢)، جه (١٦٧١/ ٥٣٤/ ١).

(٣) خ (١٩٢٣/ ١٣٩/ ٤)، م (١٠٩٥/ ٧٧٠/ ٢)، ت (٧٠٣/ ١٠٦/ ٢)، جه (١٦٩٢/ ٥٤٠/ ١)، نس (١٤١/ ٤).

والسحور ؟ قال: قدر خمسين آية»[1] ويتحقق السحور بالشيء القليل من الطعام أو الشراب. قال ﷺ: «تسحروا ولو بجرعة ماء»[2].

٢ـ تعجيل الفطر، متى تحقق الصائم غروب الشمس فينبغي له المبادرة إلى الفطور لقوله ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر»[3].

وأن يفطر على رطبات، أو تمرات، فإن لم يجد حسا حسوات من ماء.

عن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر على رطبات قبل أن يصلي، فإن لم تكن رطبات فعلى تمرات، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء»[4].

وأن يدعو عند فطره بدعوة النبي ﷺ: «ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله»[5].

٣ـ الكف عن اللغو والرفث ونحوهما مما يتنافى مع الصوم:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم»[6].

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[7].

وقد أثر عن بعض السلف قوله: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك، وليكن عليك يوم صومك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

---

(١) خ (١٩٢١/١٣٨/٤)، م (١٠٩٧/٧٧١/٢)، ت (٦٩٩/١٠٤/٢)، نس (١٤٣/٤).
(٢) حب (٨٨٤/٢٢٣).
(٣) خ (١٩٥٧/١٩٨/٤)، م (١٠٩٨/٧٧١/٢)، ت (٦٩٥/١٠٣/٢).
(٤) د (٢٣٣٩/٤٨١/٦)، ت (٦٩٢/١٠٢/٢).
(٥) د (٢٣٤٠/٤٨٢/٦).
(٦) جزء من حديث «كل عمل ابن آدم...» وقد سبق.
(٧) خ (١٩٠٣/١١٦/٤)، د (٢٣٤٥/٤٨٨/٦)، ت (٧٠٢/١٠٥/٢).

ما يستحب صومه من الأيام:

لقد سنّ رسول الله ﷺ صيام أيام من أيام الأسبوع والشهر والعام، ورغب فيها، فيستحب للمسلم أن يحافظ عليها، فإن من فضائل النوافل أنها تكمل بها الفرائض يوم القيامة، كما قال ﷺ:

«إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء، قال الرب تبارك وتعالى: انظروا، هل لعبدي من تطوع، فيكمل به ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك»[١].

ومن الأيام التي يشرع صومها:

ـ الاثنين والخميس، ولقد كان رسول الله ﷺ يحافظ على صومهما، فسئل عن ذلك فقال: «ذانك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، وأحب أن يرفع عملي وأنا صائم»[٢].

ـ **ثلاثة أيام من كل شهر**: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

«أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى ونوم على وتر»[٣].

ويستحب أن تكون أيام الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

وعن موسى بن طلحة قال: سمعت أبا ذر يقول: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام، فصم ثلاث عشرة، وأربع عشرة، وخمس عشرة»[٤].

ـ **يوم عاشوراء ويوم عرفة**:

عن أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم عرفة؟ فقال: «يكفر السنة الماضية والباقية». قال: وسئل عن صوم يوم

---

(١) سبق.

(٢) أ (٢٨٥/٢٢١/١٠).

(٣) خ (١١٧٨/٥٦/٢٣)، م (٧٢١/٤٩٩/١)، د (١٤١٩/٣١٠/٤)، ت (٧٥٧/١٣٠/٢)، نس (٢٢٩/٣).

(٤) ت (٧٥٨/١٣٠/٢)، نس (٢٢٢/٤).

عاشوراء ؟ فقال: «يكفر السنة الماضية»[1] .

ويستحب لمن أراد صوم عاشوراء أن يصوم يوماً قبله: لحديث ابن عباس قال: «حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول الله، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله ﷺ: «فإذا كان العام المقبل، إن شاء الله، صمنا اليوم التاسع». قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ»[2] .

ـ ستة أيام من شوال:

عن أبي أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر»[3] .

---

(1) م (١١٦٢/ ٨١٨/ ٢)، ت مفرقاً (٧٤٦/ ٧٤٩/ ١٢٥، ١٢٦/ ٢)، جه مفرقاً (١٧٣٠، ١٧٣٨/ ٥٥١، ٥٥٣/ ١).

(2) م (١١٣٤/ ٧٩٦/ ٢)، د (٢٤٢٨/ ١١٠/ ٧).

(3) م (١١٦٤/ ٨٢٢/ ٢)، ت٧٥٦/ ١٢٩/ ٢، د (١٦/ ٢٤/ ٨٦/ ٧)، جه (١٧١٦/ ٥٤٧/ ١).

الركن الخامس : الحج

قال تعالى : ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين * فيه آيات بينات مقام إبراهيم * ومن دخله كان آمناً * ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[١] .

فالحج إخوة الإسلام ركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه، وهو واجب على من توفرت فيه شروط الوجوب، في العمر مرة واحدة، وفريضته معلومة من الدين بالضرورة، فمن أنكر الحج وجحد وجوبه كفر وارتد عن الإسلام، ومن استطاع الحج ولم يحج فقد باء بإثم عظيم.

على من يجب الحج ؟

والحج واجب على كل مسلم بالغ عاقل حر مستطيع. وتتحقق الاستطاعة بأمن الطريق والصحة، وملك النفقة التي تكفيه لذهابه وإيابه، شريطة أن تكون فاضلة عن حاجته وحاجة من تلزمه نفقته.

ويشترط في حق المرأة أن يصحبها زوج أو محرم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم». فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا ؟ فقال: «انطلق فحج مع امرأتك»[٢] .

فالاستطاعة في حق المرأة مشروطة بالشروط المذكورة في حق الرجل، وتزيد عليه أن يصحبها زوج أو محرم، لنهي النبي ﷺ المرأة أن تسافر وحدها.

والمحرم إخوة الإسلام هو من يحرم عليه نكاح هذه المرأة أبداً، كالأب والابن، والأخ، وابن الأخ، وابن الأخت ونحوهم.

---

(١) آل عمران ٩٦، ٩٧.

(٢) خ (٣٠٠٦/١٤٢/٦)، م (١٣٤١/٩٧٨/٢).

أما ما يفعله بعض الرجال مع بعض النساء المسافرات للحج من أخذ يدها بقوة، والقول لها: أنت أختي بعهد الله، ثم يستحل بتلك الأخوة المزعومة مرافقة هذه المرأة وصحبتها والخلوة بها ونحو ذلك، فإن هذه الأخوة أخوة شيطانية لا إيمانية، والعهد الذي أخذت به عهد الشيطان لا عهد الرحمن، فليحذر الرجال والنساء من مثل هذا التصرف.

المرأة لا تسافر إلا مع ذي محرم، فإن لم تجد محرماً يسافر معها فليست مستطيعة الحج ولا يلزمها.

فضل الحج:

إخوة الإيمان: لقد كان رسول الله ﷺ يرغب في الحج ويحث عليه، ويبين فضله وثوابه وحفظ عنه ﷺ في ذلك أحاديث، منها:

قوله ﷺ: «من حج لله عز وجل، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه»[1].

وقوله ﷺ: «العمرة إلى العمرة، كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[2].

وقوله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد»[3].

وجوب الحج على الفور:

وإذا علمنا منزلة الحج من الدين، وعلمنا فضله وثوابه، فعلى كل مستطيع أن يبادر بأداء الحج فإن الحج واجب على الفوز متى تحققت الاستطاعة، لقوله ﷺ:

«من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة،

---

(١) خ (١٥٢١/ ٣٨٢/ ٣)، نس (١١٤/ ٥)، جه (٢٨٨٩/ ٩٦٤/ ٢)، م (١٣٥٠/ ٩٨٣/ ٢).

(٢) خ (١٧٧٣/ ٥٩٧/ ٣)، م (١٣٤٩/ ٩٨٣/ ٢)، جه (٢٨٨٨/ ٩٦٤/ ٢)، نس (١١٥/ ٥)، ت (٩٣٧/ ٢٠٦/ ٢).

(٣) ت (٨١٧/ ١٥٣/ ٢)، نس (١١٥/ ٥)، جه (٢٨٨٧/ ٩٦٤/ ٢).

وتعرض الحاجة»[1] نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعين المسلمين على أداء ما فرض عليهم.

حجة النبي ﷺ

روى مسلم[2] بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: دخلنا على جابر بن عبد الله فسأل عن القوم حتى انتهى إليَّ فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زِرّي الأعلى، ثم نزع زِرّي الأسفل، ثم وضع كفه بين ثَديي، وأنا يومئذ غلام شاب، فقال مرحباً بك يا ابن أخي، سلِ عما شئت، فسألته وهو أعمى وحضر وقت الصلاة، فقام في نساجة ملتحفاً بها، كلما وضعها على منكبه رجع طرفاها إليه من صغرها، ورداؤه على المشجب، فصلى بنا، فقلت أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ فقال بيده فعقد تسعاً فقال:

«إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج، ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاجّ، فقدم المدينة بشر كثير كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرجنا معه حتى أتينا ذا الحليفة، فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ كيف تصنع؟ قال: «اغتسلي واستثفري بثوب وأحرمي». فصلى رسول الله ﷺ في المسجد ثم ركب القصواء، حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مدّ بصري بين يديه من راكب وماشٍ، وعن يمينه مثل ذلك، وعن يساره مثل ذلك، ومن خلفه مثل ذلك ورسول الله ﷺ بين أظهرنا، وعليه ينزل القرآن، وهو يعرف تأويله، وما عمل به من شيء عملنا به، فأهل بالتوحيد: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وأهلّ الناس بهذا الذي يهلّون به، فلم يرد رسول الله ﷺ عليهم شيئاً منه، ولزم رسول الله ﷺ تلبيته.

قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي إلا الحج، لسنا نعرف العمرة، حتى إذا أتينا البيت معه استلم الركن، فرمل ثلاثاً، ومشى أربعاً، ثم نفذ إلى مقام

---

(١) جه (٢/٩٦٢/٢٨٨٣).

(٢) (١٢١٨/٨٨٦/٢). وهذه زيادة على الخطبة، تتميماً للفائدة.

إبراهيم عليه السلام فقرأ: **﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾**، فجعل المقام بينه وبين البيت، فكان أبي يقول: ولا أعلمه ذكره إلا عن النبي ﷺ: «كان يقرأ في الركعتين: قل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: **﴿إن الصفا والمروة من شعائر الله﴾** أبدأ بما بدأ الله به، فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّر وقال: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». ثم دعا بين ذلك. قال مثل هذا ثلاث مرات. ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة. فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى وقال: «دخلت العمرة في الحج مرتين لا بل لأبد أبد».

وقدم عليّ من اليمن ببدن النبي ﷺ فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حلّ ولبست ثياباً صبيغاً واكتحلت، فأنكر ذلك عليها، فقالت: إن أبي أمرني بهذا، قال: فكان عليّ يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرّشاً على فاطمة للذي صنعت، مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه، فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها، فقال: «صدقت صدقت ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهلّ به رسولك. قال: فإن معي الهدي، فلا تحل». قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به عليّ من اليمن والذي أتي به النبي ﷺ مائة. قال: فحل الناس كلهم وقصّروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي، فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى، فأهلّوا بالحج، وركب رسول الله ﷺ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة، فسار رسول الله ﷺ، ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضُربت بنمرة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر القصواء فرحّلت له، فأتى بطن الوادي

فخطب الناس وقال:

«إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول رباً أضع ربانا، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرِّح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنت تُسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات».

ثم أذن ثم أقام، فصلى الظهر، ثم أقام فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً.

ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل حبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: أيها الناس السكينة السكينة، كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبّح بينهما شيئاً، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة.

ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة فدعاه وكبّره وهلّله ووحّده، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً، فدفع قبل أن تطلع الشمس، وأردف الفضل بن عباس، وكان رجلاً حسن الشعر، أبيض، وسيماً، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظُعُنٌ يجرين فطفق الفضل ينظر إليهن، فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر

ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه من الشق الآخر ينظر. حتى أتى بطن محسّر، فحرك قليلاً، ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى، حتى أتى الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبّر مع كل حصاة منها مثل حصى الخذف، رمى من بطن الوادي، ثم انصرف إلى المنحر فنحر ثلاثاً وستين بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما غبر، وأشركه في هديه، ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر فطبخت، فأكلا من لحمها، وشربا من مرقها.

ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلواً فشرب منه.».

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم (٨/١٧٠):

«وهو حديث عظيم، مشتمل على جملة من الفوائد، ونفائس من مهمات القواعد، قال القاضي: وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا، وصنف فيه أبو بكر بن المنذر جزءاً كبيراً، وخرج فيه من الفقه مائة ونيفاً وخمسين نوعاً، ولو تقصى لزيد على هذا القدر قريب منه. أ. هـ.

هذه صفة الحج كما فعلها رسول الله ﷺ، وقد قال: «خذوا عني مناسككم».

إلا أن الحج كغيره من العبادات تنقسم أعماله إلى: أركان، وواجبات، وسنن.

أركان الحج:

١ـ النية: لقوله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾[1].
ولقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[2].

٢ـ الوقوف بعرفة، لقوله ﷺ: «الحج عرفة»[3]. ولحديث عروة الطائي قال:

---

(١) البينة ٥.

(٢) سبق.

(٣) ت (٨٩٠/١٨٨/٢)، نس (٢٦٤/٥)، جه (٣٠١٥/١٠٠٣/٢)، د (١٩٣٣/٤٢٥/٥).

«أتيت النبي ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة، فقلت: يا رسول الله، إني جئت من جبلي طيّء، أكللت راحلتي، وأتعبت نفسي، والله ما تركت من جَبْل إلا وقفت عليه، فهل لي من حج ؟ فقال رسول الله ﷺ: «من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً أو نهاراً، فقد تم حجّه وقضى تفثه»[1] .

٣ـ المبيت بمزدلفة حتى مطلع الفجر، لقوله ﷺ لعروة الطائي:

«من شهد صلاتنا هذه، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف قبل ذلك بعرفة ليلاً ونهاراً فقد تم حجّه وقضى تفثه»[2] .

٤ـ طواف الإفاضة: لقوله تعالى: ﴿وليطوّفوا بالبيت العتيق﴾[3] .

وعن عائشة قالت: «حاضت صفية بنت حيي بعدما أفاضت، قالت: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «أحابِسَتُنا هي» ؟ قلت: يا رسول الله، إنها قد أفاضت، وطافت بالبيت، ثم حاضت بعد الإفاضة. قال: «فلتنفر إذن»[4] . فدلّ على أن هذا الطواف لا بد منه، وأنه حابس لمن لم يأت به.

٥ـ السعي بين الصفا والمروة: لسعيه ﷺ وقوله: «اسعوا، فإن الله كتب عليكم السعي»[5] .

واجبات الحج:

١ـ الإحرام من الميقات: بأن يتجرد من ثيابه، ويلبس ملابس الإحرام، ثم ينوي قائلاً: لبّيك اللهم بعمرة، أو لبّيك اللهم حجة وعمرة.

٢ـ المبيت بمنى في ليالي التشريق: «لأن رسول الله ﷺ رخص لرعاء الإبل في البيتوتة، يرمون يوم النحر، ثم يرمون الغد ومن بعد الغد بيومين، ويرمون يوم

---

(١) ت (٨٩٢/١٨٨/٢)، د (١٩٣٤/٤٢٧/٥)، جه (٣٠١٦/١٠٠٤/٢)، نس (٢٦٣/٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) الحج ٢٩.

(٤) خ (١٧٣٣/٥٦٧/٣)، م (١٢١١/٩٦٤/٣)، د (١٩٨٧/٤٨٦/٥)، ت (٩٤٩/٢١٠/٢)، جه (٣٠٧٢/١٠٢١/٢)، نس (١٩٤/١).

(٥) أ (٢٧٧/٧٦/١٢)، كم (٧٠/٤).

النّفرة»[1] .

٣ـ رمي الجمار مرتباً: بأن يرمى يوم النحر جمرة العقبة بسبع حصيات، ويرمي الجمرات الثلاث في أيام التشريق، كل يوم بعد الزوال، كل جمرة بسبع حصيات، يبدأ بالجمرة الأولى، ثم الوسطى، ثم جمرة العقبة.

(١) د (١٩٥٩/٤٥١/٥)، ت (٩٦٢/٢١٥/٢)، جه (٣٧)(٣/١٠١٠/٢)، نس (٢٧٣/٥).

ثانيا: الإيمان

الركن الأول: الإيمان بالله

الإيمان بالله عز وجل على أربع مراتب: المرتبة الأولى: هي الإيمان بوجود الله، المرتبة الثانية: الإيمان بربوبية الله، المرتبة الثالثة: الإيمان بألوهية الله، المرتبة الرابعة: الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

أما الإيمان بوجود الله تعالى فإن العلماء قد استدلوا عليه بأربعة أنواع من الأدلة، هي: العقل، والفطرة، والحسّ، والشرع.

أما الاستدلال بالعقل والشرع على وجود الله: فإن الناظر في ملكوت السموات والأرض، يجد فيهما الكثير والكثير من الآيات الدالة على وجود الله سبحانه وتعالى. فهذه السموات بارتفاعها وشدة بنائها، وما فيها من كواكب ونجوم تسير بانتظام من غير خلل ولا صدام، بل **﴿كل في فلك يسبحون﴾**[1]. هذه السموات بارتفاعها وإمساكها عن الوقوع على الأرض، تدل على أن لهذا الكون مدبراً، لأن العقل السليم يحيل أن توجد هذه السموات وما فيها بنفسها كما يحيل أن توجد من غير موجد، وهذا هو ما قرره الله سبحانه بقوله: **﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾**[2]. والجواب على طرفي السؤال بالنفي، أم خلقوا من غير شيء ؟ لا، لأنه لا يمكن للعدم أن يوجد. أم هم الخالقون ؟ أيضاً لا، لأن العدم ليس له من نفسه وجود ولا عدم، فلا بد إذاً من خالق، ذلك الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

هذه الأرض وما فيها وما عليها، هذه الأرض باتساعها وثبوتها، وما عليها من جبال، وما يجري فيها من بحار وأنهار، وما يخرج فيها من زروع وثمار، كل ذلك من صنع من ؟ كله من صنع ربي **﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾**[3]

---

(١) يسٓ ٤٠.
(٢) الطور ٣٥.
(٣) النمل ٨٨.

والمتأمل في كتاب ربنا يجد الرب عز وجل كثيراً ما يشير إلى هذه الآيات ويأمر بالنظر المتأمل فيها:

يقول تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء ؟ بناها. رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها. والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها. والجبال أرساها. متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[1] .

ويقول سبحانه: ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور. ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير. ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾[2] .

ويقول تعالى: ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة ؟﴾[3] . الآيات.

ويقول تعالى: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، إنه كان حليماً غفوراً﴾[4] .

ويقول تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة، إن الله لطيف خبير. له ما في السموات وما في الأرض، وإن الله لهو الغني الحميد. ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾[5] .

ويقول تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا

---

(١) النازعات ٢٧ـ٣٣.
(٢) الملك ٣ـ٥.
(٣) القصص ٧١ـ٧٣.
(٤) فاطر ٤١.
(٥) الحج ٦٣ـ٦٥.

عذاب النار﴾[1] .

ويقول تعالى: **﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض، وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾**[2] .

ويقول تعالى: **﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾**[3] .

ويقول تعالى: **﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها، أو آذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾**[4] .

ويقول تعالى: **﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟ وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾**[5] .

أفلا ينظرون ويتأملون ويتدبرون، فيعلمون أن لهذا الكون إلهاً ؟؟ بهذا كان العرب قديماً يستدلون على الله سبحانه وتعالى، ولذا أثر عن بعضهم أنه قيل له: بم عرفت ربك ؟ فقال: إن البعر يدل على البعير، وإن الأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أفلا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير ؟؟.

وروي عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أن رجالاً جادلوه في وجود الله، وطلبوا منه المناظرة في ذلك، فلما كان الموعد تأخر عنهم قليلاً ثم أتاهم، فسألوه عن تأخره، فقال: شغلني أمر عظيم. قالوا: وما هو ؟ قال: رأيت سفينة في دجلة تغدو وتروح، من غير قائد يقودها، وتحمل وتفرغ من غير عمال، فقمت أفكر في أمرها. فقالوا: يا أبا حنيفة هذا غير معقول، فقال: فإذا كنتم لا تعقلون أن تغدو سفينة وتروح من غير قائد، فكيف تعقلون أن تكون هذه السموات وهذه الأرض وما فيها من غير مدبر ؟ **﴿فبهت الذي**

---

(١) آل عمران ١٩٠، ١٩١.
(٢) يونس ١٠١.
(٣) يوسف ١٠٥.
(٤) الحج ٤٦.
(٥) الغاشية ١٧ـ٢٠.

كفر . . ﴾ . . ﴿ألم تر إلى الذي حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربيَّ الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر، والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1] .

إخوة الإيمان: إن التعرف على الله سبحانه لا يحتاج إلى إجراء بحوث وتجارب، وإنما فقط يحتاج إلى تجريد القلب من الهوى، والإقبال على النظر في ملكوت السموات والأرض بقلب سليم مسترشد، باحث عن الحقيقة، فمن فعل ذلك أخذ الله بيده، وأراه من آياته، التي تجعله يؤمن بالله رباً، ﴿وفي الأرض آيات للموقنين * وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[2] . أعميان أنتم لا ترون ما حولكم وما في أنفسكم من آيات قدرة الله، ﴿قتل الإنسان ما أكفره. من أي شيء خلقه، من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسَّره. ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره. كلّا لمّا يقض ما أمره. فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صباً. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتوناً ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا. متاعا لكم ولأنعامكم﴾[3] . ﴿أفرأيتم ما تمنون. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون. نحن قدّرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين. على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون. أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون. لو نشاء لجعلناه حطاماً فظلتم تفكهون. إنا لمغرمون بل نحن محرومون. أفرأيتم الماء الذي تشربون. أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون. أفرأيتم النار التي تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون. نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين فسبح باسم ربك العظيم﴾[4]

وأما الاستدلال بالفطرة والحسّ على وجود الله، فإن كل إنسان إذا نزلت به نازلة وعجز عن دفعها وجد نفسه مندفعاً إلى النداء والاستغاثة بالله وحده دون سواه، فيقول مضطراً: يا الله، فإذا به يجاب إلى ما سأل، فيكشف عنه ما سأل

---

(١) البقرة ٢٥٨.

(٢) الذاريات ٢٠، ٢١.

(٣) عبس ١٧ـ٣٢.

(٤) الواقعة ٥٨ـ٧٤.

كشفه، أو يعطى ما طلبه، وهذا شيء محسوس ومجرب، وهو دليل على وجود الله، عز وجل، وفي ذلك يقول تعالى: **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله ؟ قليلاً ما تذكّرون﴾**[1]

وهكذا يجد الإنسان نفسه مضطراً إلى الإيمان بوجود الله، وهو أول مرتبة من مراتب الإيمان.

أما المرتبة الثانية وهي الإيمان بربوبية الله، فإن معنى الإيمان بربوبية الله الإيمان بأن الله وحده هو الخالق المالك المدبر، فلا خالق لهذا الكون ولمن فيه إلا الله عز وجل، ولا مالك لهذا الكون وما فيه إلا الله عز وجل، ولا مدبر لأمر هذا الكون إلا الله عز وجل: **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير، تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل، وتخرج الحيّ من الميت وتخرج الميت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب﴾**[2] .

فالله وحده هو الخالق، وهو المالك، لا خالق غيره، ولا مالك سواه، ومن ملك من المخلوقين شيئاً فإنما هو ملك على وجه العارية، لا ملكاً حقيقياً، ولذا فإن الإنسان إذا مات ترك كل شيء ملكه، ونزعت ملكيته، ثم يبعث يوم القيامة وليس معه شيء مما ملكه. قال تعالى: **﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾**[3] . فالملك الحقيقي لله، والمالك في الحقيقة هو الله، والملك الحق هو سبحانه ولذا كان النبي ﷺ أحياناً يقرأ: «مالك يوم الدين» وأحياناً يقرؤها «ملك يوم الدين»[4] . ويوم القيامة يطوي الله السموات والأرض ثم يقول: «أنا الملك أين ملوك الأرض»[5] ؟ **﴿لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار﴾**.

ومن الإيمان بالربوبية: الإيمان بأن الله وحده هو الذي يدبر أمر هذا الكون: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى**

---

(١) النمل ٦٢.
(٢) آل عمران ٢٦، ٢٧.
(٣) الأنعام ٩٤.
(٤) كم (٢٣٢/٢).
(٥) هذا معنى حديث رواه: خ (٤٨١٢/ ٥٥١/ ٨).

على العرش يدبر الأمر﴾[1] . وقديماً قيل لأعرابي: بم عرفت ربك ؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم. كثيراً ما يعزم الرجل منا على أمرٍ ثم يصرف عنه، من غير أن يصرفه عنه أحد، وكثيراً ما يخرج الإنسان من بيته قاصداً ناحيةً ما، ثم ينصرف عنها من غير أن يصرفه عنها أحد، وهذا دليل على أن الذي يدبر الأمر هو الله، فما شاء الله كان، وإن لم يشأ العباد، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء العباد.

المرتبة الثالثة: الإيمان بألوهية الله عز وجل، فالإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته لا ينفعان صاحبهما ما لم يكن مقراً بألوهية الله عز وجل، لقد كان المشركون يعترفون بوجود الله، ويقرون بربوبيته، فلما قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله، أنكروا ذلك وقالوا: **﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟﴾**[2] فلم ينفعهم إيمانهم بوجود الله وربوبيته لما أنكروا ألوهيته، وقال الله عنهم: **﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون * إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون * ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾**[3] .

ومعنى الإيمان بألوهية الله عز وجل الاعتقاد والاعتراف والإقرار بأن الله وحده هو المستحق للعبادة دون سواه، فكما خلق وحده، يجب أن يُعبد وحده، فيجب على المسلم أن يعرف ذلك، وأن يحذر من صرف أية جزئية من العبادة لغير الله فإن هذا الصرف شرك، والله يقول: **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار * وما للظالمين من أنصار﴾**[4] .

أما المرتبة الرابعة من مراتب الإيمان فهي الإيمان بأسماء الله وصفاته، الله سبحانه ذات وكل ذات لا بد لها من أسماء وصفات، وأسماء الله تعالى وصفاته توقيفية، لا يجوز إطلاق اسم على الله عز وجل ما لم يسمّ الله نفسه بهذا الاسم، أو يسمّه به رسوله، وكذلك الصفات، وقد أثبت الله تعالى لنفسه أسماء وصفات، في محكم كتابه أو على لسان رسوله، والواجب علينا الإيمان

---

(١) غافر ١٦.

(٢) ص ٥.

(٣) الصافات ٣٣،٣٦.

(٤) المائدة ٧٢.

بها، من غير تمثيل ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تشبيه، وقوفاً عند قوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[1] . رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

---

(١) الشورى ١١. وانظر ص٥.

الركن الثاني : الإيمان بالملائكة

إن الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، كما ذكر النبي ﷺ في الحديث الذي معنا. وقد جعل الله تعالى الإيمان بالملائكة من أهم خصائص المؤمنين، فقال تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين**. .﴾ الآية[١] . وقال تعالى: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون**. . .﴾ الآية[٢] . وبين سبحانه أن الكفر بالملائكة كفر به، وهو ضلال بعيد، فقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدا**﴾[٣] . وليس المراد الكفر بهذه الجملة، وإنما المراد الكفر بواحد منها.

إخوة الإيمان:

إن الملائكة عالم من عوالم الغيب، لا نعرف عنه إلا ما عرّفناه ربنا سبحانه في كتابه الكريم أو على لسان رسوله ﷺ. ومما عرفناه عن الملائكة كما جاء في الوحيين القرآن والسنة هذه الأمور:

مم خُلقت الملائكة ؟ ما هي صفاتهم الخِلقية ؟ وما هي صفاتهم الخُلقية ؟ ما هي علاقتهم بالله سبحانه ؟ وما هي علاقتهم بالكون ؟ وما هي علاتهم بالإنسان ؟

أما عن أصل خلقهم فإنهم خُلقوا من نور، كما قال ﷺ: «خُلقت الملائكة من نور وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصف لكم»[٤] .

وأما صفاتهم الخِلقية: فهم خلق عظيم، ذو أجنحة مثنى وثلاث ورباع

---

(١) البقرة ١٧٧.

(٢) البقرة ٢٨٥.

(٣) النساء ١٣٦.

(٤) م (٢٩٩٦/٢٢٩٤/٤).

وأكثر من ذلك، قال تعالى: ﴿**الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء**﴾[1] . وقال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون**﴾[2] .

ولقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على أصل خلقته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح قد سدّ بها الأفق، رآه كذلك مرتين، الأولى في مكة من جهة أجياد[3] والثانية عند سدرة المنتهى، ليلة المعراج، كما قال تعالى: ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى**﴾[4] .

وقال ﷺ: «**أُذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش: أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[5] .

وهم مع عظمة أجسامهم أجسام جميلة كريمة ذات صورة حسنة، قال تعالى عن جبريل عليه السلام: ﴿**علمه شديد القوى * ذو مِرة فاستوى**﴾[6] . قال ابن عباس رضي الله عنهما: ذو مرة أي ذو منظر حسن[7] . وجمال الملائكة مقرر عند الناس ومعلوم لديهم، حتى إنهم إذا أرادوا المبالغة في وصف جمال أحدٍ من الناس شبهوه بالملائكة، وهذا هو الذي صرحت به النسوة اللاتي رأين يوسف عليه السلام: ﴿**فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم**﴾[8] .

أما صفاتهم الخُلقية: فإن الله سبحانه وصفهم بأنهم كرام بررة، فقال تعالى: ﴿**كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة**

---

(١) فاطر ١.

(٢) التحريم ٦.

(٣) م (١/١٥٩/١٧٧)، ت (٥/٦٩/٣٣٣٢).

(٤) النجم ١٣، ١٤.

(٥) د (١٣/٣٦/٤٧٠١).

(٦) النجم ٥، ٦.

(٧) تفسير ابن كثير (٤/٤٢٧).

(٨) يوسف ٣١.

مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة﴾[1] .

ومن أخص أخلاقهم الحياء، عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه ـ أو ساقيه ـ فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك، فتحدث. ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتشّ له، ولم تباله. ثم دخل عمر فلم تهتشّ له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك فقال: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[2] .

والملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ولقد ضلت العرب إذ جعلت الملائكة إناثاً، فكذّبهم الله سبحانه، وبين أنهم مسؤولون عن هذا الذي قالوه، فقال سبحانه: **﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، أشهدوا خلقهم ؟ ستكتب شهادتهم ويسألون﴾**[3] .

والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، قال تعالى: **﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً * قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾**[4] .

علاقة الملائكة بالله:

الملائكة عباد من عباد الله، مخلوقون، مملوكون، مربوبون، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، قال تعالى: **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾**[5] .

---

(١) عبس ١١ـ١٦.
(٢) م (٢٤٠١/١٨٦٦/٤).
(٣) الزخرف ١٩.
(٤) الذاريات ٢٤ـ٢٨.
(٥) الأنبياء ٢٦ـ٢٩.

الملائكة خلق من مخلوقات الله، فطرهم الله على العبادة والطاعة، لا يعرفون المعصية، ولا تشتهي أنفسهم الحرام، قال تعالى: **﴿عليها ملائكة غلاظ شداد * لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾**[1] . فهم مشغولون بعبادة الله أبداً، ليل نهار، لا يملون من العبادة، ولا يتعبون منها، قال تعالى: **﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾**[2] . وقال تعالى: **﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾**[3] .

ومن عبادتهم: التسبيح بحمد الله، كما قال تعالى: **﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾**[4] . وكما قال تعالى: **﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم. .﴾**[5] . وقال تعالى: **﴿وترى الملائكة حافّين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم﴾**[6] .

ومن عبادتهم: الصلاة: عن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ في أصحابه، إذ قال لهم: «أتسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تئط، وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم»[7] .

وهم يهتمون بتسوية الصفوف [عند ربهم]، ولذا قال الله عنهم: **﴿وإنا لنحن الصافّون﴾**[8] . وكان النبي ﷺ يأمر أصحابه بتسوية صفوفهم، كما تسوي الملائكة صفوفها، فجاء عنه ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها؟» قالوا: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتمون الصفوف الأول، ويتراصّون في الصف»[9] .

---

(١) التحريم ٦.
(٢) الأنبياء ٢٠.
(٣) فصلت ٣٨.
(٤) الأنبياء ٢٠.
(٥) غافر ٧.
(٦) الزمر ٧٥.
(٧) مشكل الآثار للطحاوي (٢/ ٤٣).
(٨) الصافات ١٦٥.
(٩) م (١/٣٢٢/٤٣٠)، د (٢/٣٦١/٦٤٧)، جه (١/٣١٧/٩٩٢)، نس (٢/ ٨٣).

ومن عباداتهم الحج: ولكن لا يحجون بيت الله الحرام في الأرض، وإنما يحجون البيت المعمور في السماء، ولذا قال ﷺ في حديث المعراج: «ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[1] .

وقد أقسم ربنا سبحانه بالبيت المعمور، كما في قوله تعالى: ﴿**والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور**﴾[2] . وقد أخبر النبي ﷺ أن البيت المعمور فوق السماء السابعة حيال الكعبة، حتى قال ﷺ: «لو خرّ لخرّ عليها»[3] .

هذه هي علاقة الملائكة بالله تعالى، علاقة المخلوق بالخالق، علاقة المربوب بالرب سبحانه، علاقة العبد بسيده ومالكه وفاطره، فهم يسبحون بحمد ربهم، منهم القائم، ومنهم الراكع، ومنهم الساجد، لا يسأمون ولا يفترون.

علاقة الملائكة بالكون:

أما علاقة الملائكة بالكون فهم الذين يدبرون الكون، وكل حركة في الكون فإنما هي ناشئة عنهم، كما قال تعالى: ﴿**فالمدبرات أمراً**﴾[4] . وقال: ﴿**فالمقسمات أمراً**﴾[5] . وأصح أقوال المفسرين في الآيتين أن المراد بهما الملائكة، فالله سبحانه وتعالى قد وكل بالسموات ملائكة، وبالسحاب والمطر ملائكة، وبالجبال ملائكة، ووكل بالرحم ملائكة تتولى الإشراف على النطفة من ساعة استقرارها في الرحم حتى تخرج منه خلقاً آخر. ووكل سبحانه بالنبات ملائكة، فكل ما يكون في السموات أو في الأرض فإنما هو بفعل الملائكة، لا يفعلونه ابتداء ولا استقلالاً، وإنما الله عز وجل هو الذي يدبر الأمر ثم يأمر الملائكة بتنفيذه على وفق ما أراده:

---

(١) خ (٢٢٠٧/٣٠٢/٦)، م (١٦٢/١٤٥/١)، نس (٢١٧/١).
(٢) الطور ١ـ٤.
(٣) تفسير الطبري (١٧/٢٧).
(٤) النازعات ٥.
(٥) الذاريات ٤.

﴿لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾[1] .

علاقة الملائكة بالإنسان:

إن علاقة الملائكة بالإنسان علاقات وثيقة جداً، تبدأ من حين يكون الإنسان نطفة في رحم أمه، وتستمر حتى يتبوأ مقعده في الجنة أو في النار، ولا تنقطع بعد ذلك.

ومن علاقة الملائكة بالإنسان أنهم يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، كما قال تعالى: **﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾**[2] . كما أن للإنسان حفظة غير هؤلاء يحفظون أعماله: **﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[3].. فأنت يا عبد الله تمشي بين أربعة أملاك: واحد من بين يديك، وثان من خلفك، وثالث عن يمينك، ورابع عن شمالك، فأما اللذان من بين يديك ومن خلفك فإنهما يحفظانك من كل سوء إلا إذا قدر الله لك شيئاً فإنهما يتخليان عنك ليصيبك ما كتب لك.

وأما اللذان عن يمينك وشمالك فيكتبان أعمالك، أما الذي عن يمينك فيكتب حسناتك وأما الذي عن شمالك فيكتب سيئاتك.

وهناك ملك خامس وهو القرين الذي لا يفارقك أبداً، ووظيفته أن يدلك على الخير ويرشدك إليه، ويذكرك به، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن، وقرينه من الملائكة. قالوا: وإياك ؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[4] .

أين تسكن الملائكة ؟

الملائكة يسكنون السماء لقوله تعالى: **﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك**

---

(١) الأنبياء ٢٧.
(٢) الرعد ١١.
(٣) قٓ ١٧، ١٨.
(٤) م (٢٨١٤/٤).

يسبحون له بالليل والنهار﴾[1] . فوصف الله الملائكة بأنهم عنده، أي في السماء، ولكنهم ينزلون إلى الأرض لتنفيذ مهمات نيطت بهم ووكلت إليهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فأنزل الله تعالى قوله: **﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك.. ﴾ الآية**[2] .

فالملائكة يسكنون السماء، ولكنهم ينزلون إلى الأرض إذا أذن الله لهم، ويكثر نزولهم في مناسبات خاصة، منها: ليلة القدر، قال تعالى: **﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر﴾**[3] . ومنها: نزولهم لحضور مجالس العلم، كما قال ﷺ:

«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[4] .

ومنها: نزولهم لاستماع قراءة القرآن، كما جاء عن أسيد بن حضير: أنه بينما هو في ليلة يقرأ في مربده، إذ جالت فرسه، فقرأ، ثم جالت، فقرأ، ثم جالت أيضاً. قال أسيد: فخشيت أن تطأ يحيى فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج، عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال: فغدوت على رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله ﷺ: بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا ابن حضير». قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا ابن حضير» قال: فقرأت، ثم جالت أيضاً. فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ يا ابن حضير» قال: فانصرفت، وكان يحيى قريباً منها فخشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو حتى ما أراها. فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة كانت تستمع لك، ولو

---

(١) فصلت ٣٨.

(٢) خ (٣٢١٨/ ٣٠٥/ ٦)، ت (٥١٦٧/ ٣٣٧/ ٤).

(٣) القدر ٤.

(٤) م (٢٦٩٩/ ٢٠٧٤/ ٤)، ت (٤٠١٥/ ٢٦٥/ ٤)، بدون الجملة الأخيرة.

قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستترمنهم»[1] .

كما تتنزل الملائكة لقبض الأرواح، ولتبشير المؤمنين عند الموت، كما قال تعالى:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من غفور رحيم﴾[2] .

اللهم اجعلنا من أهل هذه البشرى.

---

(١) خ (٥٠١٨/٦٣/٩)، م (٧٩٦/٥٤٨/١).

(٢) فصلت ٣٠ـ٣٢.

الركن الثالث: الإيمان بكتب الله

قلنا أن الدين في أصله واحد، وهو الإسلام وأساسه التوحيد، كما قال تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾**[(١)] ، وكما قال تعالى: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾**[(٢)] . **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[(٣)] . فالدين واحد، ولكن الشرائع تختلف، كما قال تعالى: **﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾**[(٤)] . والشريعة هي مجموعة الأوامر والنواهي، مجموعة الأحكام والقوانين، هذه الشريعة تختلف في أحكامها من أمة لأمة، ومن جيل لجيل.

وقد أنزل الله تعالى على رسله كتباً من عنده، فيها مجموعة الشرائع والأحكام التي أراد الله أن تسير عليها الأمم، وقد سمى الله تعالى لنا مما أنزله: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى:

قال تعالى: **﴿الٓم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم * نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل * من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾**[(٥)] .

وقال تعالى: **﴿إن هذا لفي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى﴾**[(٦)]

وقال تعالى: **﴿وآتينا داود زبوراً﴾**[(٧)] . فمن الإيمان بالكتب الإيمان بما سمى الله تعالى منها على وجه الخصوص، والإيمان المجمل بكل ما أنزل الله من كتب لم يسمها لنا، وقد أمرنا الله تعالى بذلك فقال:

---

(١) الأنبياء ٢٥.
(٢) آل عمران ١٩.
(٣) آل عمران ٨٥.
(٤) المائدة ٤٨.
(٥) آل عمران ١ـ٤.
(٦) الأعلى ١٨، ١٩.
(٧) الإسراء ٥٥.

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون﴾(١) .

وكما أمرنا الله تعالى بالإيمان بكل ما أنزل، كذلك أمر أهل الكتاب بالإيمان بما أنزل على نبينا ﷺ:

فقال تعالى: **﴿يا أهل الكتاب آمنوا بما نَزَّلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً﴾**(٢) .

ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن غير القرآن من الكتب السابقة، كان خاصاً بمن أنزل إليهم أما القرآن الكريم فهو للناس أجمعين، لعموم رسالة من أنزل عليه ﷺ، فواجب على جميع الناس الإيمان بالقرآن، كما يجب عليهم الإيمان بمحمد ﷺ.

ومن الإيمان بالكتب الإيمان بأن الكتب السابقة قد حرّفت وبدّلت، وزيد فيها ونقص منها، وأنه لا يوجد على وجه الأرض كتاب يُجزم بنسبته إلى الله تعالى إلا القرآن، ذلك لأن الله تعالى لم يتول بنفسه حفظ ما أنزل من الكتب السابقة، كما تولى بنفسه حفظ القرآن، قال تعالى: **﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾**(٣) . فالقرآن محفوظ من الضياع، محفوظ من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان، لأن الله حفظه بنفسه، أما التوراة والإنجيل فإن الله لم يحفظهما، ولذا وقع فيهما التغيير والتبديل، وأخبرنا ربنا بذلك فقال:

﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ إلى قوله تعالى: **﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾**(٤) .

---

(١) البقرة ١٣٦ .
(٢) النساء ٤٧ .
(٣) الحجر ٩ .
(٤) البقرة ٧٥ـ٧٩ .

الركن الرابع : الإيمان بالرسل

خلق الله الخلق ليعبدوه لا يشركوا به شيئاً، أمرهم ونهاهم، وأحل لهم وحرم عليهم، وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يصطفي من البشر نفراً يبلغهم مراده من عباده، ثم هم يبلغون أممهم مراد الله منهم، إذ ليس من المعقول أن يتصل الله بكل فرد من الأفراد ليقول له افعل كذا ولا تفعل كذا، قال تعالى: ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس**﴾[1] ، وقال تعالى: ﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**﴾[2] . وقال تعالى: ﴿**رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق**﴾[3] . وقال تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء**﴾[4] .

وهؤلاء النفر الذين اصطفاهم الله من خلقه لتبليغ رسالته إلى عباده هم أفضل خلق الله وأكرمهم على الله عز وجل، وقد خصهم الله بالاصطفاء لما علمه منهم من جميل الصفات ومحاسن الأخلاق ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[5] .

وحاجة الناس إلى الرسالة والرسل فوق حاجتهم إلى كل شيء، وضرورتهم إلى الرسالة والرسل أشد من ضرورتهم إلى أي شيء، ويتضح هذا بقولنا: إن الإنسان مركب من روح وجسد وأن العالم عالمان، علوي وسفلي، وأن الحياة حياتان، أولى تنتهي، وثانية تدوم ولا تنتهي وأن بين الحياتين برزخاً، تقضي فيه الأرواح فترة ما بين موت الإنسان وبعثه إلى الحياة الثانية، وكل هذه الأمور بحاجة إلى الرسالة والرسل، ويتبين هذا بقولنا:

---

(١) الحج ٧٥.
(٢) النحل ٢.
(٣) غافر ١٥.
(٤) الشورى ٥١.
(٥) الأنعام ١٢٤.

إن كون الإنسان روحاً يحتاج إلى وحي إلهي، يخبره عن هذه الروح وخصائصها وصفاتها وأسباب كمالها ونقصانها، وأسباب سعادتها وشقائها.

وكون الإنسان جسداً يقتضي وحياً إلهياً يخبره كيف يحافظ على سلامة هذا الجسد ويضع له القوانين التي بها يعيش هذا الجسد المدة المحددة له في هذه الحياة جسداً صالحاً قوياً، قادراً على القيام بما كلفه الله به من الفرائض والواجبات. وكون الحياة حياتين يقتضي أيضاً وحياً إلهياً يخبر الإنسان عن الحياة الثانية وما فيها، وما له فيها إذا هو انتقل إليها.

وكون العالم عالمين يقتضي وحياً إلهياً يخبر الإنسان عن هذا العالم العلوي الذي لا يستطيع الإنسان أن يتعرف على شيء من خصائصه إلا عن طريق الوحي والمرسلين. ثم إننا قلنا إن الله خلق الخلق ليعبدوه، والعبادة كيفية وكماً لا يمكن للعقل أن يستقلّ بمعرفتها، فكان لا بد من وحي من عند الله لتعليم الناس كيف يعبدون الله. فهذه أكثر من ضرورة تؤكد على أنه لا بد من الوحي، ولا بد من الرسالة، وأن حاجة الناس إلى الوحي والرسالة فوق حاجتهم إلى كل شيء.

إخوة الإيمان:

إن الإيمان بالمرسلين ركن من أركان الإيمان كما علمنا من ذلك الحديث الذي معنا، وقد أمر الله سبحانه في كتابه العزيز بالإيمان بالمرسلين، وحث عليه، وجعله من أهم خصائص المتقين، فقال تعالى: **﴿الّم * ذلك الكتاب لا ريب فيه، هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة، ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾**[1].

وقال تعالى: **﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين..﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته**

---

(١) البقرة ١ـ٤.
(٢) البقرة ١٧٧.

وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله﴾[1] .

وبين سبحانه أن التفريق بين المرسلين، والكفر ببعضهم، كفر بجميعهم، فقال تعالى: **﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً * أولئك هم الكافرون حقاً﴾**[2] .

وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾**[3] . فالإيمان بجميع المرسلين ركن من أركان الإيمان، والكفر بواحد منهم كفر بجميعهم، ولذا فإنك حين تقرأ القرآن الكريم تجد الله عز وجل يقول: **﴿كذبت قوم نوح المرسلين﴾**[4] . **﴿كذبت عاد المرسلين﴾**[5] . **﴿كذب أصحاب الأيكة المرسلين﴾**[6] . ومعلوم أن كل أمة من هذه الأمم كذبت رسولها الذي جاءها، ولكن الله نسب إليهم تكذيب جميع المرسلين، لأن الرسالة واحدة في أصلها، واحدة في هدفها، وإن تعدّد حاملوها، وعليه فتكذيب واحد من حملتها تكذيب لجميع حملتها.

إخوة الإيمان:

ما المراد ببعثة الرسل، لِمَ بعث الله المرسلين؟

قال تعالى في بيان الحكمة التي من أجلها أرسل الرسل: **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾**[7] . فهذه هي الحكمة من إرسال المرسلين «لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل». كما قال تعالى: **﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت**

---

(١) البقرة ٢٨٥.
(٢) النساء ١٥٠، ١٥١.
(٣) النساء ١٣٦.
(٤) الشعراء ١٠٥.
(٥) الشعراء ١٢٣.
(٦) الشعراء ١٧٦.
(٧) النساء ١٦٥.

إلينا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾[1] .

وكما قال تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون * أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم، فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾[3] .

فالله سبحانه قد أبطل حجج العباد وقطع معاذيرهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، فمن كفر بعد ذلك فالنار أولى به، وليس له حجة يحتج بها عند الله، ولا يقبل منها عذر ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾[4] . ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها: ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا: بلى، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين * قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها، فبئس مثوى المتكبرين﴾[5] .

قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾[6] .

ما هي وظيفة الرسل ؟

وظيفة الرسل تبليغ الخلق مراد الله سبحانه وتعالى منهم، وظيفة الرسل الدعوة إلى الله عز وجل، وهم جميعاً قد دعوا إلى أصل واحد، وهو توحيد الله عز وجل، قال تعالى:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾[7] .

---

(١) القصص ٤٧ .
(٢) المائدة ١٩ .
(٣) الأنعام ١٥٥-١٥٧ .
(٤) القيامة ١٤، ١٥ .
(٥) الزمر ٧١، ٧٢ .
(٦) الإسراء ١٥ .
(٧) النحل ٣٦ .

وقال تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[1].

والقارىء للقرآن الكريم يجد أن الكلمة التي دعا إليها جميع الأنبياء كلمة واحدة، تتكرر بنفس الألفاظ، بل بنفس الحروف: ﴿**يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**﴾[2].

قال تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾[3].

إخوة الإيمان:

من الإيمان بالمرسلين الإيمان بمن سمّى الله تعالى منهم ومن لم يسمّ وقد سمّى الله عزّ وجل لنا في القرآن الكريم خمسة وعشرين رسولاً.

فمن الإيمان بالمرسلين أن نُؤمن بهؤلاء الذين سمى الله لنا في كتابه العزيز، فمن أنكر رسالة رسول من هؤلاء فهو كافر بجميع المرسلين كما بينا سابقاً. ويجب الإيمان المجمل بكل من أرسل الله عز وجل من غير المسمّيْن في القرآن، وكما لا يجوز الكفر بواحد ممن سمّى الله عز وجل لا يجوز إثبات النبوة لاسمٍ معين لم يسمّه الله في القرآن. فلا يجوز أن نقول: فلان نبي، ما دام هذا الاسم لم يذكر في كتاب الله ولا في سنة ثابتة.

ومن الإيمان بالمرسلين الإيمان بأنهم أفضل الخلق، وأكثر الناس علماً وعملاً، وأصدقهم حديثاً وأكملهم أخلاقاً، وأن الله خصهم بفضائل لا يحصلها غيرهم، وأن الله لم يخصهم بطبائع غير طبائع البشر، إنما اختارهم الله سبحانه رجالاً، يأكلون ويشربون، يبولون ويتغوطون، ينامون ويتزوجون وتكون لهم الذرية، ويمشون في الأسواق يبيعون ويشترون.

قال تعالى: ﴿**وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق**﴾[4].

---

(١) الأنبياء ٢٥.

(٢) انظر سورة الأعراف.

(٣) الشورى ١٣.

(٤) الفرقان ٢٠.

وقال تعالى: ﴿**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية**﴾[1]

فالواجب الوقوف عند هذا الحد، والابتعاد عن الغلو فيهم، وعن إطرائهم، خشية الوقوع في وصفهم بما لا يجوز وصفهم به من خصائص الرب سبحانه، كما فعلت أمم، إنما الأنبياء بشر، لا يملكون نفعاً ولا ضراً، ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، بل ربما أصابتهم الأمراض والأسقام، ونالهم أذىً ممن كفر بهم، وهم يموتون وربما يقتلون.

ومن الإيمان بالمرسلين الإيمان بأن أفضلهم وأكرمهم على الله سبحانه نبينا محمد ﷺ، كما أخبر هو ﷺ بذلك فقال: «أنا سيد ولد آدم»[2].

ومن الإيمان به ﷺ الإيمان بأنه خاتم النبيين، كما قال ربنا سبحانه: ﴿**ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[3]. وقد قال ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[4]. وقال ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»، والعاقب الذي ليس بعده نبي[5]، [وقد سماه الله رؤوفاً[5] رحيماً].

وقال ﷺ: «إنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي»[6]

---

(١) الرعد ٣٨.

(٢) م (٢٢٧٨/ ١٧٨٢/ ٤)، د (٤٦٤٥/ ٤٢٦/ ١٢).

(٣) الأحزاب ٤٠.

(٤) خ (٣٥٣٥/ ٥٥٨/ ٦)، م (٢٢٨٦/ ١٧٩٠/ ٤).

(٥) م (٢٣٥٤/ ١٨٢٨/ ٤) بدون الجملة الأولى، خ (٣٥٣٢/ ٥٥٤/ ٦) بدون تفسير العاقب، ت (٢٩٩٦/ ٢١٤/ ٤) وقد أورد تفسير العاقب من جملة المرفوع.

(٦) د (٤٢٣٢/ ٣٢٢/ ١١).

الركن الخامس

الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، بل هو أهم الأركان بعد الإيمان بالله عز وجل، وما جادل المشركون في شيء مما دُعوا إلى الإيمان به مثل ما جادلوا في الإيمان بالله واليوم الآخر، أما جدالهم في الله فقد كانوا ألفوا تعدد الآلهة، فلما قيل لهم ﴿**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**﴾ قالوا ﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟! إن هذا لشيء عجاب**﴾[1] . ولما قيل لهم: ﴿**ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**﴾[2] . قالوا: ﴿**أئذا متنا وكنا تراباً ؟! ذلك رجع بعيد**﴾[3] .

لذا اهتم القرآن باليوم الآخر، وأكثر من الحث على الإيمان به، وكثيراً ما قرن الله تعالى بين الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر في مواضع كثيرة:

قال تعالى: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر . .**﴾ الآية[4] .

وقال تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[5] .

ولذا كان الكفر باليوم الآخر كفراً بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر، فلا يتم الإيمان إلا بالإيمان بهذه الست، فمن كفر بواحد منها فقد كفر بالجميع، ولذا قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله**

---

(١) ص ٥.
(٢) المؤمنون ١٥ـ١٦.
(٣) قَ ٣.
(٤) البقرة ١٧٧.
(٥) البقرة ٦٢.

واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾[1] . وليس المراد الكفر بهذه الجملة كلها ولكن الكفر بواحد منها كفر بها كلها، ولذا قال تعالى: **﴿وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد، أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[2] فحكم الله سبحانه وتعالى على منكري البعث بثلاثة أحكام:

﴿أولئك الذين كفروا بربهم﴾ . ﴿وأولئك الأغلال في أعناقهم﴾ . ﴿وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

إخوة الإيمان:

ومعنى الإيمان باليوم الآخر الإيمان على وجه الإجمال بما يكون بعد البعث، بكل ما أخبر الله عنه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ.

وعلى وجه التفصيل: الإيمان باليوم الآخر معناه الإيمان بالموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، والبعث، والحشر، وتتطاير صحف الأعمال، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وما فيهما.

ولقد أعلم الله سبحانه آدم وزوجه وعدوهما إبليس أن نزولهم إلى الأرض ليس للاستقرار والدوام والخلود، وإنما هو إلى حين، قال تعالى: **﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾**[3] .

وكذلك كانت الرسل تخبر قومها بما أخبر الله به آدم وزوجه وعدوهما:

فقال نوح لقومه: **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾**[4] .

وقال الخليل إبراهيم عليه السلام لقومه معرّفاً لهم بالإله الحق الذي يجب أن يعبدوه:

﴿الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو

---

(١) النساء ١٣٦.

(٢) الرعد ٥.

(٣) الأعراف ٢٤، ٢٥.

(٤) نوح ١٧، ١٨.

يشفين * والذي يميتني ثم يحيين * والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾[1] .

وعيسى عليه السلام لما تكلم في المهد صبياً: ﴿قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً * والسلام علي يوم وُلدتُ ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾[2] .

ولقد أقسم ربنا سبحانه على أن البعث حق، فقال: ﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً * أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً * فوربك لنحشرنهم والشياطين، ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾[3] .

وأمر سبحانه نبينا محمداً ﷺ أن يقسم بربه على أن البعث حق:

فقال تعالى: ﴿ويستنبئونك أحق هو ؟ قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة، قل بلى وربي لتأتينكم﴾[5] .

وقال تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا، قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾[6] .

والقارىء للقرآن الكريم يجد الكثير والكثير من الأدلة والبراهين على إمكان البعث وخروج الناس من قبورهم: ﴿ليجزي الله كل نفس ما كسبت﴾[7] . وهذه البراهين والأدلة قد جمعها الله سبحانه في صدر سورة النبأ حيث يقول تعالى: ﴿عمّ يتساءلون * عن النبأ العظيم * الذي هم فيه

---

(١) الشعراء ٧٨ـ٨٢.
(٢) مريم ٣٠ـ٣٣.
(٣) مريم ٦٦ـ٦٨.
(٤) يونس ٥٣.
(٥) سبأ ٣.
(٦) التغابن ٧.
(٧) إبراهيم ٥١.

مختلفون * كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون * ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً * وخلقناكم أزواجاً * وجعلنا نومكم سباتاً * وجعلنا الليل لباساً * وجعلنا النهار معاشاً * وبنينا فوقكم سبعاً شداداً * وجعلنا سراجاً وهّاجاً * وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً﴾(١) .

وبالتأمل في هذه الآيات نستطيع حصر أدلة البعث في أربعة أنواع :

الأول : أن الله خلق من الخلق ما هو أعظم من خلق الإنسان ، وإذا خلق ما هو أكبر خلقاً من الإنسان فلن يعجز أن يعيد الإنسان مرة ثانية : **﴿ألم نجعل الأرض مهاداً * والجبال أوتاداً﴾ ﴿وبنينا فوقكم سبعاً شدادا﴾** . فهذه السموات والأرض خَلَقهن الله عز وجل ، وخَلْقُهن أكبر وأشد من خلق الإنسان ، فأنّى تُعجز الله يا ابن آدم أن يعيدك مرة ثانية ، وقد خلق ما هو أعظم منك . قال تعالى : **﴿أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾**(٢) وقد صرح ربنا سبحانه أنَّ خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، فقال تعالى : **﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**(٣) .

الثاني : أن الله خلق الإنسان لأول مرة ، فكيف يعجز عن إعادته ، والإعادة أهون من البدء قال تعالى : **﴿وخلقناكم أزواجاً﴾** . فالذي خلقكم من عدم قادر أن يعيدكم تارة أخرى ، ولذا قال تعالى : **﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾**(٤) . وليس هناك شيء هيّن على الله ، وشيء أهون ، ولكنه مثل ضربه الله لعلهم يعقلون أن الذي خلقهم أول مرة قادر أن يعيدهم تارة أخرى .

قال تعالى : **﴿ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حياً ؟ أوَ لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾**(٥) . وقال تعالى : **﴿أولم يرَ الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من**

---

(١) النبأ ١ـ١٦ .
(٢) النازعات ٢٧ .
(٣) غافر ٥٧ .
(٤) الروم ٢٧ .
(٥) مريم ٦٦ ، ٦٧ .

يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾[1] . وقال تعالى: **﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾**[2] .

الثالث: هذه الأرض تراها ميتة، جرداء لا زرع فيها ولا ماء، فإذا نزل المطر: **﴿اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾**[3] . هذه آية من آيات البعث، ولذا قال تعالى: **﴿وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً * لنخرج به حباً ونباتاً * وجنات ألفافاً﴾**[4] .

وقال تعالى: **﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾**[5] . وقال تعالى: **﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾**[6] .

الدليل الرابع: **﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾**[7] . النوم واليقظة دليل على إمكان البعث، أنت يا ابن آدم تنام في اليوم والليلة مرة أو مرتين، ثم تبعث بعد ساعات من نومك تنام فتموت، وتستيقظ فتبعث، فالنوم أخو الموت، والنوم هو الموتة الصغرىٰ، تنام فتفقد إدراكك وشعورك وإحساسك، فلا تشعر بما حولك، وهذا هو الموت، ولذا سمى الله النوم وفاة فقال: **﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمى﴾**[8]

---

(١) يٓس ٧٧-٧٩.
(٢) الحج ٥.
(٣) الحج ٥.
(٤) النبأ ١٤-١٦.
(٥) فصلت ٣٩.
(٦) الحج ٥، ٦، ٧.
(٧) النبأ ٩.
(٨) الأنعام ٦٠.

وقال تعالى: ﴿**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى**﴾[1] .

ولهذا كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه يقول: «باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[2] . وكان يقول: «باسمك اللهم أحيا وأموت»[3] . فإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور»[4] . «الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره»[5] .

إخوة الإيمان:

إن للإيمان باليوم الآخر تأثيراً كبيراً في سلوك الإنسان وتصرفاته وأفعاله، وانضباطه وعدم انضباطه، فشتان بين رجل لا يؤمن بالبعث والحساب، وبين آخر يؤمن بالبعث والحساب. فالأول ضابطه هواه، وقائده شهوته، يفعل ما يشاء من غير خوف من حساب ولا جزاء ولا عقاب، وأما الثاني فضابطه هو الإيمان بالله، وقائده الخوف من الله، فإذا همّ بسوء تذكر أنه مجزي به فأقلع عنه، وإذا أقدم على ظلم إنسان تذكر أن المظلوم سيقتص منه يوم الحساب فرجع عن ظلمه، وهكذا.

والذي يقرأ القرآن الكريم يجد من هذا الكثير والكثير: يقول تعالى: ﴿**أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيم * ولا يحض على طعام المسكين**﴾[6] . فهو يُهين اليتيم، ويحرم المسكين لأنه لا يؤمن بالحساب والجزاء. ويقول تعالى: ﴿**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام**

---

(١) الزمر ٤٢.

(٢) خ (٦٣٢٠/١٢٥/١١)، م (٢٧١٤/٢٠٨٤/٤)، ت (٣٤٦١/١٣٩/٥)، د (٥٠٢٩/٣٩١/١٣).

(٣) خ (٦٣١٢/١١٣/١١)، ت (٣٤٧٧/١٤٦/٥)، د (٥٠٢٨/٣٩١/١٣)، جه (٣٨٨٠/١٢٧٧/٢)، م (٢٧١١/٢٠٨٣/٤).

(٤) خ (٦٣١٢/١١٣/١١)، ت (٣٤٧٧/١٤٦/٥)، د (٥٠٢٨/٣٩١/١٣)، جه (٣٨٨٠/١٢٧٧/٢)، م (٢٧١١/٢٠٨٣/٤).

(٥) ت (٣٤٦١/١٣٩/٥).

(٦) الماعون ١ـ٣.

الصلاة، وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾[1] . فالإيمان بالله واليوم الآخر هو الذي يحث على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. والإيمان باليوم الآخر هو الذي يحمل الإنسان على تلبية نداء الجهاد، كما قال تعالى: **﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾**[2] . فاعلم يا عبد الله أنك إلى الله راجع. وبين يدي الله موقوف، وأمام الله مسؤول، فأعد للسؤال جواباً.

---

(١) التوبة ١٨.

(٢) التوبة ٤٤ـ٤٥.

الركن السادس:

الإيمان بالقدر

إن الإيمان بالقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان العبد إلا بالإيمان بالقدر، فمن كفر بالقدر فقد خرج من الدين، لقوله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[1].

ولقد كثر في القرآن الكريم ذكر القدر، ومن ذلك قوله تعالى: **﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾**[2]، وقوله: **﴿وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾**[3]. وقوله: **﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾**[4]. وقوله: **﴿سبح اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوّى * والذي قدّر فهدى﴾**[5]. وكذلك كثر ذكر القدر في أحاديث النبي ﷺ.

والإيمان بالقدر على مراتب:

الأولى: الإيمان بعلم الله سبحانه الشامل، المحيط بكل شيء، أن تؤمن بأن الله قد أحاط بكل شيء علماً، أن تؤمن بأن الله قد علم الموجودات، والمعدومات، والممكنات، والمستحيلات، أن تؤمن بأن الله علم ما كان، وما يكون، وما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

قال تعالى: **﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾**[6]. وقال تعالى: **﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل**

---

(١) ت (٢٢٣١/٣٠٦/٣).

(٢) القمر ٤٩.

(٣) الفرقان ٢.

(٤) الأحزاب ٣٨.

(٥) الأعلى ١ـ٣.

(٦) الطلاق ١٢.

عنده بمقدار * عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾[1] . وقال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾[2] . وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾[3] .

الثانية: الإيمان بأن الله سبحانه قد كتب كل ما يكون في كتاب محفوظ عنده سبحانه، قال تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض، إن ذلك في كتاب، إن ذلك على الله يسير﴾[4] .

وقال تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، إن ذلك على الله يسير﴾[5] . وقال تعالى: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[6] .

وقال تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾[7] .

وقد صرحت السنة بما صرح به القرآن، فجاء عن النبي ﷺ قوله:

«إن الله تعالى قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[8] .

وقوله ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: يا رب،

---

(١) الرعد ٨، ٩.
(٢) الأنعام ٥٩.
(٣) المجادلة ٧.
(٤) الحج ٧٠.
(٥) الحديد ٢٢.
(٦) يّس ١٢.
(٧) يونس ٦١.
(٨) م (٢٦٥٣/٢٠٤٤/٤)، ت (٢٢٤٥/٣١١/٣).

وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً. فقال: يا غلام، ألا أعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفّت الصحف»[2].

الثالثة: الإيمان بمشيئة الله وقدرته، أن تؤمن يا عبد الله أن هذا الكون كله ملك لله سبحانه، وأن الله سبحانه هو الذي يدبر أمر هذاالكون كله، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأن تؤمن بأن مشيئة الله نافذة في العباد، وأن الله لا رادّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره. وأن تؤمن بأن الله على كل شيء قدير، لا يعجز عن شيء، ولا يُعجزه شيء: **﴿وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليماً قديراً﴾**[3].

المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله سبحانه خالق كل شيء، لا خالق غيره، ولا شريك له في الخلق، قال تعالى: **﴿الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل﴾**[4]. وقال تعالى: **﴿ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء وكيل﴾**[5]. وقال تعالى: **﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء، لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون﴾**[6]. ويدخل في خلق الله أعمال بني آدم، قال تعالى: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾**[7].

هل يجوز الاحتجاج بالقدر؟

إذا علمنا أن الله خالق كل شيء، وأعمالنا من خلق الله، فهل يجوز

---

(١) د (٤٦٧٥/ ٤٦٧/ ١٢)، ت (٢٢٤٤/ ٣١٠/ ٣).
(٢) ت (٢٦٣٥/ ٧٦/ ٤).
(٣) فاطر ٤٤.
(٤) الزمر ٦٢.
(٥) الأنعام ١٠٢.
(٦) غافر ٦٢
(٧) الصافات ٩٦.

الاحتجاج بالقدر ؟ .

الجواب : أن هذه شبهة عرضت للمشركين في كل أمة وفي كل زمان، وقد أبطلها الله سبحانه وردّها على قائليها، فقال تعالى : **﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيء، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا، إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون * قل فلله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين﴾**[1] . فلو كانت هذه الشبهة مقبولة ما عذّب الله قائليها، فلما أذاقهم بأسه، وأرسل عليهم عذابه، عُلم أن حجتهم داحضة عند ربهم، وأن لله الحجة البالغة، لأن الله قد أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وبذلك أقام الحجة على العباد، كما تحدثنا عن ذلك بالتفصيل عند كلامنا عن الإيمان بالمرسلين.

إخوة الإيمان

هذا القدر البسيط المحدود هو ما يجب علينا معرفته عن القدر، وما سوى ذلك فالواجب الإمساك عن الخوض فيه، لأن القدر سرُّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسُلّم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك، نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه : **﴿لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾**[2] . ولذا قال بعض السلف : رأيت أعلم الناس بالقدر أمسكهم عن الكلام فيه، ورأيت أجهل الناس بالقدر أكثرهم خوضاً فيه.

إخوة الإيمان :

كثيراً ما نسمع بعض الناس حين يُدعى لفعل واجب هو تاركه، أو ترك حرام هو فاعله، يقول : **﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾**[3] . وما دام الله يهدي من يشاء فدعني وشأني حتى يهديني الله. وهي كلمة حق أُريد بها باطل، نعم نحن نؤمن أن الله يهدي من يشاء، وأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ولكن ليس في هذه الآية حجة

---

(١) الأنعام ١٤٨، ١٤٩.

(٢) الأنبياء ٢٣. وانظر العقيدة الطحاوية (٢٧٦).

(٣) القصص ٥٦.

لمن يحتج بها، وليس فيها عذر لمن يعتذر بها عن ترك واجب أو فعل محرم.

إن هذه الآية أنزلها الله على نبيه ﷺ يعزّيه بها في موت عمه أبي طالب على الكفر، لقد دخل رسول الله ﷺ على عمه أبي طالب وهو يجود بنفسه، فقال: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة أشفع لك بها عند الله، فقال أبو جهل وغيره من الحاضرين المشركين: أترغب عن ملة عبد المطلب، فقال أبو طالب: لا، بل على ملة عبد المطلب، ثم مات على كفره، فحزن رسول الله ﷺ على عمه أن مات كافراً، ثم قال: والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك، فأنزل الله قوله: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾[1]. وقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، وهو أعلم بالمهتدين﴾[2].

فهذه الآية فيها عزاء للدعاة، للمصلحين، للآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر، إذا بذلوا وسعهم، وأرشدوا الناس وهدوهم، ثم لم يستجيبوا لهم، فليعزوا أنفسهم بهذه الآية: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[3].

ثم إنا نقول: إن الهداية أنواع، الذي يهمنا منها في هذا المقام نوعان: هداية الدلالة، والإرشاد والبيان، وهداية التوفيق.

أما الأولى: فهي التي أثبتها الله لنبيه وللدعاة، في قوله: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[4]. وقوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[5].

وأما الثانية: وهي هداية التوفيق [إلى] الطاعة، فهذه لا يملكها أحد سوى الله سبحانه، وهذه هي التي نفاها الله عن نبيه في قوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾[6]. وفي قوله: ﴿ليس عليك هداهم﴾[7].

---

(١) التوبة ١١٣.
(٢) خ (٤٧٧٢/٥٠٦/٨)، م (٢٤/ ٥٤/ ١).
(٣) القصص ٥٦.
(٤) الشورى ٥٢.
(٥) السجدة ٢٤.
(٦) القصص ٥٦.
(٧) البقرة ٢٧٢.

والهداية الثانية مترتبة على الهداية الأولى، بل إن الهداية الثانية هي جزاء قبول الهداية الأولى، فمن استجاب للأنبياء وأطاع [الدعاة إلى سبيلهم]، واتبع النور الذي جاؤوا به رزقه الله الهداية الثانية، وهي هداية التوفيق، فشرح صدره للإسلام، وحبب إليه الإيمان وكرّه إليه الفسوق والعصيان، قال تعالى: **﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسّره لليسرى﴾**[1] . **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾**[2] . **﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾**[3] .

قال تعالى: **﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾**[4] . وقال تعالى: **﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾**[5] . **﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾**[6] .

فأنت يا عبد الله: في غالب أمرك، إذا أحببت شيئاً سعيت إلى تحصيله، إذا أردت الرزق سعيت لتحصيله، إذا مرضت سعيت للشفاء، إذا أردت الذرية سعيت إلى الزواج، فهل تريد أن يهديك الله ؟ إن كنت صادقاً فاسع لتحصيل الهداية، سل الله أن يهديك، قل: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى»[7] . قل «اللهم اهدني فيمن هديت»[8] . فإن الله قد قال في الحديث القدسي: «يا عبادي، كلكم ضالّ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»[9] .

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت. آمين.

---

(١) الليل ٥ـ٧.
(٢) مريم ٧٦.
(٣) محمد ١٧ .
(٤) الصف ٥ .
(٥) الأنعام ١١٠ .
(٦) الكهف ٤٩ .
(٧) م (٢٧٢١/ ٢٠١٧/ ٤)، ت (٣٥٥٥/ ١٨٤/ ٤).
(٨) د (١٤١٢/ ٣٠٠/ ٤)، ت (٤٦٣/ ٢٨٩/ ١)، جه (١١٧٨/ ٣٧٢/ ١)، نس (٢٤٨/ ٣).
(٩) م (٢٥٧٧/ ١٩٩٤/ ٤)، ت (٢٦١٣/ ٦٧/ ٤).

ثالثاً: الإحسان

سأل جبريل النبي ﷺ عن الإحسان، فقال النبي ﷺ:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

إخوة الإيمان:

هذا الجواب الوجيز من جوامع كلم النبي ﷺ، التي أوتيها، فإننا لو قدّرنا أن أحدنا قام في عبادة وهو يعاين ربه سبحانه، وينظر إليه، لم يترك هذا القائم شيئاً يقدر عليه من الخشوع، والخضوع، وحسن السمت، واجتماعه بظاهره وباطنه على ما هو فيه، إلا أتى به، لأنه يرى الله وينظر إليه، ويعلم أن الله يراقبه، فإن أحسن أحسن لنفسه وإن أساء فعليها، فهو ليقينه أن الله يطلع عليه، يحاول أن يحسِّن هذه العبادة قدر ما يستطيع، فقال النبي ﷺ «تعبد الله» في جميع أحوالك كعبادتك في حالة المعاينة فإن اطلاع الله عليك حاصل، سواء رأيته أم لم تره، إن الله مطلع عليك أبداً، فإذا كنت لو عبدته وأنت تراه، أخلصت هذه العبادة، وحسّنتها، وجمّلتها، وأتقنتها، فاعبد الله في جميع أحوالك على هذا النحو، فإن الذي دفعك إلى تحسين هذه العبادة هو يقينك أن الله مطلع عليك، والله مطلع عليك، رأيته أم لم تره، فاعبد الله «كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والمقصود من هذا: الحثُ على الإخلاص في العبادة، والخشوع فيها لله سبحانه، ومراقبة الله سبحانه في كل عمل.

ابن آدم: اعلم أنك لم تخلق عبثاً، ولم تترك سُدى، وإنما خلقت لأمر عظيم، ذكره الله في قوله: **﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾**[1]. والعبادة بإيجاز تتكون من شقين: أوامر يجب فعلها، ونواهي يجب اجتنابها والبعد عنها.

ولن يعينك على هذه العبادة بشقيها إلا مراقبة الله سبحانه، وعلمك بأن الله

---

(١) الذاريات ٥٦.

مطلع عليك، وناظر إليك، وأنك بادٍ لربك، ظاهر له، لا يخفى على الله شأن من شؤونك، ولا أمر من أمورك.

وقد كثر في القرآن الكريم الأمر بمراقبة الله سبحانه، من ذلك قوله تعالى:

﴿وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين﴾[1].

وقوله تعالى: **﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾**[2]. وقوله تعالى: **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[3]. وقوله تعالى: **﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم﴾**[4].

وكذلك كثر في أحاديث الرسول ﷺ الأمر بمراقبة الله سبحانه، فمن ذلك قوله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت»[5]. في أي زمان ومكان.

إخوة الإيمان:

إن مراقبة الله سبحانه هي التي تعين الإنسان على الالتزام بما فرض الله واجتناب ما حرّم، إن مراقبة الله هي التي تعين الإنسان على الخشوع في الصلاة، وتجعلها خفيفة عليه، فلا يسأم ولا يمل، قال تعالى: **﴿واستعينوا بالصبر والصلاة، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾**[6]. وقال تعالى: **﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾**[7].

وعدم مراقبة الله يجعل الإنسان يضيّع الصلاة، أو يُرائي بها، قال تعالى عن

---

(١) الشعراء ٢١٣ـ٢١٩.
(٢) يونس ٦١.
(٣) النساء ١.
(٤) المجادلة ٦.
(٥) ت (٢٠٥٣/٢٣٩/٣).
(٦) البقرة ٤٥.
(٧) المؤمنون ١، ٢.

المنافقين: ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسالى، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً**﴾(1) . وقال تعالى: ﴿**فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون**﴾(2) .

ومراقبة الله سبحانه هي التي تعين الإنسان على غض بصره، فلا ينظر إلى ما حرم الله النظر إليه.

إن الله تعالى حرم على الرجال النظر إلى النساء الأجنبيات، وحرّم على النساء النظر إلى الرجال الأجانب، فقال تعالى: ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم. .**﴾ و ﴿**وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن**﴾(3) . كما نهانا الله عن النظر إلى فضول الدنيا، فقال لنبيه ﷺ: ﴿**ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم، زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى**﴾(4) . ومراقبة الله هي التي تعين المسلم على غض بصره، [وحفظ فرجه ولسانه وأمانته].

ومراقبة الله تعالى هي التي تعصم الإنسان من الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وما رجع يوسف عليه السلام عن همّه إلا لمراقبته الله تعالى: ﴿**وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلّقت الأبواب وقالت: هيت لك. قال: معاذ الله، إنه ربي أحسن مثواي، إنه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه**﴾(5) .

ومراقبة الله هي التي جعلت الرجل الذي راود ابنة عمه عن نفسها حين ألمّت بها سنة من السنين، فجاءته تسأله من ماله، فقال: لا، حتى تمكنيني من نفسك فانصرفت، حتى اشتدت بها الحاجة، فجاءته تسأله، فقال: لا، حتى تمكنيني من نفسك، فأجابته وهي كارهة، فلما قعد بين رجليها، قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقام عنها، وترك الذي أعطاها، وكان قد أعطاها عشرين ومائة دينار. فمراقبة الله هي التي جعلته يتركها وما

(1) النساء ١٤٢.
(2) الماعون ٤ـ٦.
(3) النور ٢٩، ٣٠.
(4) طه ١٣١.
(5) يوسف ٢٣ـ ٢٤.

أعطاها[١] .

إنها مراقبة الله التي تعصم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، إنها مراقبة الله التي تحث الإنسان وتدفعه إلى إتقان عمله، مهما كان ذلك العمل، من أمور الدين أو أمور الدنيا.

من راقب الله تعالى أخلص في عبادته، وأخلص في وظيفته، وأخلص في كل عمل وُكل إليه، وإن لم يراقبه أحد من [رؤسائه]، لأنه يعلم أن الله وحده يراقبه: **﴿إن الله كان عليكم رقيباً﴾**[٢] .

ومن لم يراقب الله لم يتقن عملاً ما، عبادة كان أو غيرها، من لم يراقب الله لم يخلص في عمله وإن قام على رأسه [المراقبون].

إن عدم مراقبة الله تعالى يؤدي إلى ترك الواجبات، وفعل المحرمات، والغش في المعاملات، فالله الله عباد الله، راقبوا الله في سركم وعلانيتكم، واعلموا أن الله عليكم رقيب.

اعلم يا عبد الله أن المراقبة قد شُدِّدت عليك جداً، فأنت مراقب في [يومك وليلك]، في غدوك ورواحك، في حركتك وسكونك، فالله عليك رقيب، وملائكة الله [بأمره] يراقبونك: **﴿إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[٣] **﴿وإن عليكم لحافظين * كراماً كاتبين * يعلمون ما تفعلون﴾**[٤] .

ثم إنك أيها العبد بعد ذلك كله مراقب من نفسك ذاتها، أعضاؤك، جوارحك، كلهم يراقبونك، وسيشهدون عليك يوم القيامة: قال تعالى:

﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون * حتى إذا ما جاؤوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟ قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون * وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا

---

(١) خ (٣٤٦٥/٥٠٥/٦)، م (٢٧٤٣/٢٠٩٩/٤).
(٢) النساء ١ .
(٣) الانفطار ١٠ـ١٢ .
(٤) قّ ١٧، ١٨ .

جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون * وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين﴾[١] .

وقال تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[٢] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «هل تدرون ممّ أضحك ؟» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «من مخاطبة العبد ربه. يقول: ياربّ ! ألم تجرني من الظلم ؟ قال: يقول: بلى. قال فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني. قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً. قال فيختم على فيه. فيقال لأركانه: انطقي. قال: فتنطق بأعماله. ثم يُخلّى بينه وبين الكلام. قال: فيقول: بُعداً لكُنّ وسحقاً، فعنكن كنت أناضل»[٣] .

أرأيت يا عبد الله كيف ضُيّق عليك الخناق ؟ أرأيت يا عبد الله كيف شددت عليك المراقبة ؟ فبالله عليك قل لي: كيف تستبيح لنفسك أن ترتكب ما حرم الله عليك ؟ أم كيف تستبيح لنفسك أن تترك مافرض الله عليك ؟ ألا تستحي من ربك أن يراك حيث نهاك، وأن يفقدك حيث يحب أن يراك. يا عبد الله لا تكن كالمنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾[٤] .

إخوة الإيمان:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

ما جزاء المحسنين ؟ يقول تعالى: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾[٥] . فمن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة.

أما إحسان الله إلى من أحسن في الدنيا، فإن الله يقول: ﴿إن الله مع

---

(١) فصلت ١٩-٢٣.
(٢) يٓس ٦٥.
(٣) م (٢٩٦٩/ ٢٢٨٠/ ٤).
(٤) النساء ١٠٨.
(٥) الرحمن ٦٠.

الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾[1] . وهذه المعية هي المعية الخاصة، ومقتضاها التأييد والتمكين، والنصر والظفر، فالله مع المحسنين بنصره ومدده، يمدهم بمدده، ويؤيدهم بجنده، وينصرهم على أعدائهم في الدنيا، ويرفع درجاتهم في الآخرة.

وهذه المعية هي التي ذكّر بها رسول الله ﷺ أبا بكر: **﴿إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**[2] . وهي التي ذكّر بها موسى بني إسرائيل حين قالوا: **﴿إنا لمدركون﴾** قال: **﴿كلا، إن معي ربي سيهدين﴾**[3] .

وأما جزاء المحسنين في الآخرة، فالله يقول: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾**[4] . والحسنى هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الكريم سبحانه[5] ، قال تعالى: **﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾**[6] . وإنما أُكرموا بالنظر إلى وجه الكريم، لأن الجزاء من جنس العمل، وهم لما [اتقوا] الله بقلوبهم في الدنيا فعبدوه كأنهم يرونه، أكرمهم الله في الآخرة، فكشف عنهم الحجاب فرأوه بأم أعينهم.

أما الكفرة الفجرة، فإنهم لما حجبت قلوبهم في الدنيا عن [تقوى] الله، حُجبوا في الآخرة عن رؤيته، قال تعالى: **﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾**[7] . نسأل الله تعالى أن يرزقنا درجة الإحسان، وأن يحسن إلينا في الدنيا والآخرة.

---

(١) النحل ١٢٨.
(٢) التوبة ٤٠.
(٣) الشعراء ٦١، ٦٢.
(٤) يونس ٢٦.
(٥) انظر تفسير ابن كثير (٢/٤١٤).
(٦) القيامة ٢٢، ٢٣.
(٧) المطففين ١٤، ١٥.

تحريم القول على الله بغير علم

سأل جبريل النبيَّ ﷺ فقال: «متى الساعة؟» فقال النبي ﷺ: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

في هذا الجواب فائدتان:

الأولى: أنه يجب على من سُئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

والثانية: أنه لا يعلم الغيب إلا الله.

أما عن الفائدة الأولى فنقول:

لقد تحدثنا عن مراقبة العبد لربه في جميع أحواله، حتى يعبد الله كأنه يراه، وقلنا: إن العبد قد وُضع تحت مراقبة شديدة جداً، حتى إنه تُحصى عليه كل كبيرة وصغيرة.

ومن هذا المنطلق نقول: يجب على كل مسلم أن يراقب الله تعالى في جميع أحواله، كما يجب عليه أن يراقبه سبحانه في جميع أفعاله وأقواله، فإن الله يقول: **﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد * إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**[1].

ولذا قال العلماء: ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت مصلحته، ومتى استوى الكلام وعدمه في المصلحة، فالإمساك عنه أولى. ذلك لأن كثرة الكلام في المباح ربما تجرّ إلى الكلام في المكروه أو المحرم، وذاك شيء معروف من العادة. ولقد كثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في الأمر بإمساك اللسان وصونه، والنهي عن كثرة الكلام وبيان خطره. من هذه الأحاديث قوله ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[2].

---

(١) ق ١٦ـ١٨.

(٢) خ (٦٤٧٥/٣٠٨/١١)، م (٤٧/٦٨/١)، جه (٣٩٧١/١٣١٣/٢).

وقوله ﷺ: «من يضمن لي ما بين رجليه، وما بين لحييه، أضمن له الجنة»[1] .

وقوله ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقي لها بالاً، يرفعه الله بها في الجنة. وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً، يهوي بها في جهنم»[2] .

ولذلك كان ﷺ ينصح من استنصحه بحفظ لسانه:

عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله، حدثني بأمر أعتصم به. قال: «قل ربي الله ثم استقم» قال: قلت يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسان نفسه وقال: «هذا»[3] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ: دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني عن النار. فأرشده ﷺ إلى واجبات العبادة ونوافلها، ثم قال: «ألا أدلّك على ملاك ذلك كله؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «أمسك عليك لسانك». فقال معاذ: وإنّا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟ فقال ﷺ: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم»[4] .

إخوة الإيمان:

إنما كان الكلام على هذه الدرجة من الخطر لأن منه الكذب، والقذف، والغيبة والنميمة، وشهادة الزور، والشرك بالله، والقول على الله بغير علم، وكل هذه الأنواع من الكلام معلومة حرمتها من الدين بالضرورة. وأعظمها حرمة الشرك، ثم القول على الله بغير علم، القول على الله بغير علم جريمة من أعظم الجرائم، ومنكر من أكبر المنكرات، أن يقول الإنسان لما لا يعلم: أنا أعلم، ويتكلم في الدين، هذا حلال، وهذا حرام، من غير بينة ولا برهان.

لقد أنكر الله على هؤلاء إنكاراً شديداً فقال تعالى:

---

(١) خ (١١/٣٠٨/٦٤٧٤)، ت (٤/٣١/٥٠٢٠).
(٢) خ (١١/٣٠٨/٦٤٧٨).
(٣) ت (٤/٣٢/٢٥٢٢)، جه (٢/١٣١٤/٣٩٧٢).
(٤) هو حديث «رأس الأمر الإسلام» وقد سبق.

﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً، قل آلله أذن لكم ؟ أم على الله تفترون، وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾[1] . ما ظنهم بربهم إذا رجعوا إليه: **﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾**[2] . وقال تعالى: **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾**[3] .

وقال تعالى: **﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغيَ بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾**[4] .

فهذه أصول المحرمات التي اتفقت عليها الشرائع كلها.

ولقد بين ربنا سبحانه أن القول على الله بغير علم عمل من أعمال الشيطان، فقال تعالى:

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾[5] .

فالواجب على كل مسلم وقد تبين له خطر الكلام في الدين بغير علم، الواجب عليه إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، فقد قالها أفضل الخلق وسيدهم محمد ﷺ، لما سأله جبريل «متى الساعة ؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

والقارىء للقرآن الكريم يجد الله سبحانه قد ذكر بعض الأسئلة التي سئل عنها النبي ﷺ ولم يقل فيها برأي، حتى جاءه الجواب من الله عن طريق جبريل

---

(١) يونس ٥٩، ٦٠.
(٢) الزمر ٦٠.
(٣) النحل ١١٦، ١١٧.
(٤) الأعراف ٣٣.
(٥) البقرة ١٦٨، ١٦٩.

عليه السلام:

﴿يسئلونك عن الأهلة، قل هي مواقيت للناس والحج﴾[1] . **﴿يسألونك عن الأنفال، قل الأنفال لله والرسول﴾**[2] . **﴿يسألونك عن الروح، قل الروح من أمر ربي﴾**[3] . وهكذا كان دأبه ﷺ، إذا سئل عما لا يعلم أن يردّ علم ذلك إلى الله، فإن جاءه جبريل بالجواب، وإلا سكت عما لا علم له به.

إخوة الإيمان:

إن المتكلم في الدين بغير علم، قد افترى على الله الكذب، وعرّض نفسه للعذاب الأليم، وباء بإثم عظيم، قال تعالى: **﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[4] . فالمتكلم في الدين بغير علم ظالم لنفسه، محروم من هداية الله. والمتكلم في الدين بغير علم قد باء بإثمه وبإثم من عمل بفتواه، قال تعالى: **﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾**[5] . وقال النبي ﷺ: «من أُفتي بغير علم كان إثمه على من أفتاه»[6] .

إخوة الإيمان:

لهذا الخطر العظيم كان السلف الصالح يتورعون عن الفتوى، ويمسكون عن الكلام في الدين بغير علم، وكان الرجل فيهم إذا سئل عن مسألة ودّ لو أن أخاه كفاه الإجابة، وإذا طلب منه الحديث ودّ لو أن أخاه كفاه هذا الحديث، ولذا قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ: ما منهم أحد يسأل عن شيء إلا ودّ أن أخاه قد كفاه، ولا حدّث بحديث إلاّ ودّ أن أخاه قد كفاه. وقال ابن سيرين رحمه الله: ما كان أحد أهيب بما لا يعلم من أبي بكر ولا أحد بعد أبي بكر أهيب بما لا يعلم من عمر، ولقد كان عمر تعرض له المسألة فيجمع لها أصحاب رسول الله ﷺ ليستشيرهم

---

(١) البقرة ١٨٩.
(٢) الأنفال ١.
(٣) الإسراء ٨٥.
(٤) الأنعام ١٤٤.
(٥) النحل ٢٥.
(٦) د (٣٦٤٠/٩٠/١٠)، جه (٥٣/٢٠/١) بنحوه.

فيها. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «أيها الناس، من سئل عن علم يعلمه فليقل به، ومن سئل عما لا يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم». وحدث أن الشعبي سئل عن مسألة، فقال: لا أعلمها، فقال أصحابه: لقد استحيينا لك. فقال الشعبي: لكن الملائكة لم تستح حين قالت: ﴿لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾.

وعن مالك إمام دار الهجرة رضي الله عنه أنه جاءه رجل فقال: يا مالك، معي مسألة قد حمّلنيها أهل بلدي لأسألك عنها، وقد جئتك من مسافة بعيدة. فقال مالك: سل، فسأله، فقال مالك: أما هذه فلا أحسنها، فبهت السائل، وقال: يا مالك، ماذا أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم، فقال مالك: قل لهم مالك لا يحسنها. ولقد كان رضي الله عنه يقول: ينبغي لكل من سئل عن مسألة قبل أن يجيب أن يعرض نفسه على الجنة والنار، وينظر كيف خلاصه، ثم يجيب أو لا يجيب.

وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه إذا سُئل عن مسألة سكت، فقيل له: لم تسكت؟ فقال: أنظر الجواب خير أم السكوت. وكان الإمام أحمد رضي الله عنه إذا سئل عن شيء قال: لا أعلم، سل غيري، سل العلماء، ومثل هذا كثير وكثير عن السلف رضي الله عنهم.

ولقد أُثر عن ابن عمر أنه سئل عن مسألة لا يعلمها، فقال: لا أعلم، ثم خرج يفرك يديه وهو يقول: سئل ابن عمر عما لا يعلم، فقال: لا أعلم. ذلك أنه رأى أن قوله لا أعلم انتصار على نفسه وشيطانه، فسُرّ لأنه قال لا أعلم، ذلك أن الشيطان يزيّن للنفس حب الظهور والرفعة ويخوّفها من الاتهام بالجهل، وانتقاص القدر، كيف تقول لا أدري، أجب فإن المسألة خفيفة، إن المسألة لا تحتاج إلى نظر، لا تحتاج إلى علم، فلا يزال الشيطان بالمسؤول حتى يجيب بغير علم فيبوء بإثم نفسه وإثم من أفتاه.

إخوة الإيمان:

إن مما يؤسف له خوض كثير من العوام في مسائل الدين، وتجرؤهم على الفتوى بغير علم، فقلّما يجلس الرجل منا في مجلس، فتطرح مسألة من المسائل، إلا ورأيت كلاً يُدلي بدلوه، بعلم وبغير علم، وأشد من ذلك أسفاً أن يصدر ذلك من بعض طلبة العلم، الذين لم يبلغوا بعد مبلغ الفتيا.

فالله الله عباد الله في أنفسكم، الله الله في دينكم، إن العلم أمانة، وأمانة ثقيلة، وإن الفتيا أمرها خطير جداً، وليس في العلم شيء بسيط ولا هيّن، ولذا سئل إمام دار الهجرة رضي الله عنه عن مسألة فلم يقل فيها شيئاً، فقيل له: إنها مسألة خفيفة فغضب رضي الله عنه وقال: ليس في العلم شيء خفيف.

فيا إخوة الإيمان:

المفتي داخل بين الله وعباده، فلينظر أحدكم كيف يدخل، ولا يستحي أحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، ولا يستحي أن يقول لا أدري، فإن ذلك يرفعه ولا يضعه، ويزيد في ثقة الناس به، لأنهم إذا رأوه لا يتعجل بالفتوى، ولا يجيب في كل ما يسأل عنه، علموا أنه لا يجيب إلا بما يعلم، فوثقوا به، وأقبلوا عليه.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً متقبلاً، ورزقاً طيباً.

لا يعلم الغيب إلا الله

هذه هي الفائدة الثانية، المستفادة من جوابه ﷺ لجبريل، وقد سأله: «متى الساعة، فقال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل».

والغيب: مصدر: غابت الشمس وغيرها، إذا استترت عن العين، ثم استعمل في كل ما غاب عنك، ولم تقم عليه قرينة تدل عليه، فكل ما غاب عنك ولا توجد قرائن تدلك عليه، فهذا هو الغيب. ولا أحد سوى الله في السموات ولا في الأرض يعلم ما غاب عنه، لأن علمَ الغيب من خصائص الرب سبحانه وتعالى. وقد كثرت الآيات الكريمة في بيان ذلك:

يقول تعالى: **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾**[1] .

ويقول: **﴿إن الله عالم غيب السموات والأرض، إنه عليم بذات الصدور﴾**[2] .

ويقول: **﴿إن الله يعلم غيب السموات والأرض، والله بصير بما تعملون﴾**[3] .

ويقول: **﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾**[4] .

ويقول: **﴿ولله غيب السموات والأرض، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾**[5] .

ويقول: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾**[6] .

ولما خاض الناس في عدد أهل الكهف: كم كانوا ؟ وكم لبثوا ؟ أنكر الله تعالى عليهم خوضهم فيما ليس لهم به علم، فقال سبحانه: **﴿سيقولون ثلاثة**

---

(١) النمل ٦٥.
(٢) فاطر ٣٨.
(٣) الحجرات ١٨.
(٤) هود ١٢٣.
(٥) النحل ٧٧.
(٦) الأنعام ٥٩.

رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾[1] . وقال تعالى: ﴿ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعاً قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض﴾[2] .

وقد بين سبحانه أن الغيب لم يطلع عليه ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا ولي صالح من الإنس ولا من الجن.

فقال تعالى عن الملائكة: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[3] .

وقد أمر الله نبينا محمداً ﷺ أن يقول لقومه أنه ليس له من علم الغيب شيء، وأنه لا يعلم إلا ما علمه الله، فقال تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾[4] . وقال تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[5] . وقال تعالى: ﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون * فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون * إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[6] .

فعُلم من هذه الآيات أن نبينا ﷺ لا يعلم الغيب، ولذا فإنه ﷺ لما تكلم أهل الإفك في الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها، لم يعلم ﷺ أبريئة هي أم لا ؟ حتى إنه دخل عليها يوماً فقال: «يا عائشة، إنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرؤك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله

---

(١) الكهف ٢٢، ٢٥.
(٢) الكهف ٢٦.
(٣) البقرة ٣١، ٣٢.
(٤) الأنعام ٥٠.
(٥) الأعراف ١٨٨.
(٦) الأنبياء ١٠٨-١١١.

وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب عليه»[١] . ولم يعلم ﷺ براءة زوجه حتى نزل الوحي ببراءتها من فوق سبع سموات. ولما قذف رجل امرأته وجاء بها يتلاعنان عند رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب»[٢] . ولم يعلم ﷺ الصادق منهما.

ولقد كان ﷺ حريصاً على ترسيخ هذه العقيدة في نفوس أصحابه، فحدث أن جاريتين كانتا تغنيان في عرس، فقالت إحداهما: «وفينا نبي يعلم ما في غد» فقال ﷺ: «دعي هذا وقولي ما كنت تقولين»[٣] . ولذا قالت عائشة رضي الله عنها: «ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً يعلم ما في غد فقد كذب، ومن حدثك أن محمداً كتم شيئاً مما أمر بتبليغه فقد كذب، ومن حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب»[٤] .

ولقد ذكر لنا الله تعالى عن نوح عليه السلام ما ذكر عن نبينا ﷺ، فقال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: **﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك﴾**[٥] .

ولما جاءت الملائكة إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، لم يعرف أنهم ملائكة: **﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقرّبه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾**[٦] . ولما أتوا لوطاً عليه السلام لم يعرفهم أيضاً، وظنهم بشراً، فخاف عليهم من قومه: و**﴿سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾**[٧] . فقالوا له: إنا رسل ربك.

ويعقوب عليه السلام ابيضت عيناه من الحزن لفراق يوسف عليه السلام، ويوسف في مصر، ويعقوب لا يدري ما خبره، ولا يعلم عنه شيئاً حتى

---

(١) خ (٢٦٦١/٢٦٩/٥)، م (٢٧٧٠/٢١٢٩/٤)، ت (٣٢٣٠/١٣/٥).
(٢) خ (٥٣٠٧/٤٤٥/٩)، د (٢٢٣٧/٣٤١/٦)، ت (٣٢٢٩/١٢/٥)، جه (٢٠٦٧/٦٦٨/١).
(٣) خ (٥١٤٧/٢٠٢/٩).
(٤) ت (٥٠٦٣/٣٢٨/٤)، خ (٤٦١٢/٢٧٥/٨)، (٧٣٨٠/٣٦١/١٣)، م (١٧٧/١٥٩/١).
(٥) هود ٣١.
(٦) الذاريات ٢٦ـ٢٨.
(٧) هود ٧٧.

أظهر الله أمر يوسف.

وإخوة يوسف: ﴿لما دخلوا عليه عرفهم وهم له منكرون﴾، ولما احتال على إبقاء أخيه عنده رجع إخوته فقالوا لأبيهم، وقد كانوا آتوه موثقهم ليردنّ إليه أخاهم، فلما أخذه يوسف بالحيلة اعتذروا لأبيهم بقولهم: ﴿إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾[1] . وهكذا نرى أن أفضل الخلق وأكرمهم على الله وهم الملائكة والمرسلون [وآلهم] لا يعلمون الغيب.

أما الجن الذين فُتن بهم كثير من الناس وظنوا أنهم يعلمون الغيب، فقد قال تعالى عنهم، حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾[2] . وقد صرحت الجن أنهم لا يعلمون الغيب، وذلك في قولهم كما حكى الله في سورة الجن:

﴿وأنا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾[3] .

فتبين من كل هذا أنه ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[4] .

إخوة الإيمان:

ومن الغيب علم الساعة، متى الساعة؟ نسمع كثيراً من الناس يقولون: (تؤلف ولا تؤلفان)، ونسمع كثيراً من الناس يقولون: إن الله لم يختص بعلم الساعة، وإنما أظهرها للناس، ويمكن بالحساب معرفة متى الساعة، وهذا دجل وهراء، فإن الله تعالى قد أخبر في كتابه أنه لا يعلم متى الساعة إلا الله، فقال تعالى:

﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير﴾[5] .

---

(١) يوسف ٨١.

(٢) سبأ ١٤.

(٣) الجن ١٠.

(٤) النمل ٦٥.

(٥) لقمان ٣٤.

وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها ؟ قل إنما علمها عند الله، لا يجلّيها لوقتها إلا هو، ثقلت في السموات والأرض، لا تأتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفيّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾[1] .

وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيّان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها﴾[2] .

وقال تعالى: ﴿إليه يُردّ علم الساعة﴾[3] .

وقال تعالى: ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، وعنده علم الساعة، وإليه ترجعون﴾[4] .

إخوة الإيمان:

إذا علمنا أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فالواجب علينا أن لا نصدق كاهناً ولا عرّافاً ولا من يدّعي شيئاً يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

إن إتيان الكهان والعرّافين حرام، وتصديقهم كفر، قال ﷺ: «من أتى عرّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[5] .

وقال ﷺ: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»[6] . فقد كفر بما أنزل على محمد، لأن مما أنزل على محمد ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾[7] وهذا الكاهن أو العرّاف قد ادعى علم الغيب وصدّقه من أتاه، فكذب صريح القرآن.

---

(١) الأعراف ١٨٧.
(٢) النازعات ٤٢_٤٥.
(٣) فصلت ٧٧.
(٤) الزخرف ٨٥.
(٥) م (٢٢٣٠/١٧٥١/٤).
(٦) جه (٦٣٩/٢٠٩/١)، د (٣٨٨٦/٣٩٨/١٠)، ت (١٣٥/٩٠/١١) وليس عنده جملة (فصدقه..).
(٧) الجن ٢٦.

شبهة وجوابها:

رب قائل يقول: فما تقول فيما نسمعه من بعض الكهنة والعرّافين، حيث أنهم ربما أخبروا بالشيء فيكون كما أخبروا؟ والجواب: أن هذه شبهة قديمة لا حديثة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل أُناس رسول الله ﷺ عن الكهان؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليسوا بشيء». قالوا: يا رسول الله، فإنهم يحدثون أحياناً الشيء يكون حقاً؟ قال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنيّ، فيَقُرُّها في أذن وليّه قرَّ الدجاجة، فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة»[1].

الجن تسترق السمع، والله سبحانه قد حفظ السماء من كل شيطان مارد: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين﴾[2] ولكن ربما تمكن الجنيّ من أن يَقُرَّ الكلمة التي سمعها في أذن وليّه قبل أن يدركه الشهاب الثاقب، فيخلط معها الولي مائة كذبة.

شبهة أخرى وجوابها:

وقد يقول قائل: فما تقول في الكاهن الذي يبادر الداخل عليه بذكر اسمه واسم أبيه واسم أمه ويقصّ عليه ما كان من أمره قبل أن يأتيه، علماً بأن هذا الكاهن لا يعرف هذا الإنسان ولم يجتمع به قبل هذه المرة؟ والجواب: أن كلّاً منا معه قرين من الجن وقرين من الملائكة كما شرحنا ذلك في الكلام عن الملائكة، وهذا الكاهن يتعامل مع الجنّ، فإذا تحرك أحدٌ من الناس نحو هذا الكاهن سبقه قرينه من الجنّ فأعلم الجنيّ الذي يتعامل معه الكاهن بنبأ هذا القادم، فإذا دخل عليه، بادره بما ذكرنا فتكون زيادة فتنة لهذا الذي أتاه فيؤمن به ويصدقه، وهذا نوع من أنواع استمتاع الإنس بالجن، والجن بالإنس، إذ إن الجنّ لا يخدم الإنس إلا إذا خدم الإنس الجن، قال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس، وقال أولياؤهم من الإنس ربنا

---

(١) خ (٥٧٦٢/٢١٦/١٠)، م (٢٢٢٨/١٧٥٠/٤).
(٢) الملك ٥.

استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾[1] . فاحذر يا عبد الله الكهنة والعرافين، واعلم أنك مسؤول عن هذا المال الذي تعطيه لهم، فتب إلى ربك وجدد إيمانك. ونسأل الله أن يتوب على جميع العصاة والمذنبين.

(١) الأنعام ١٢٨.

خاتمة

أخي القارىء: هذا ماكنت ألقيته من الخطب في بيان معنى الإسلام والإيمان والإحسان، فإن كنت وفقت فـ «ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس» وإن كان غير ما أردت فأستغفر الله وأتوب إليه.

أمّا أمارات الساعة فقد أفردتها برسالة خاصة، سميتها:

«رحلة في رحاب اليوم الآخر»[1].

تحدثت فيها عن أمارات الساعة، واليوم الآخر: من النفخة الأولى في الصور، إلى أن يتبوأ أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم.

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجيرني وسائر المسلمين من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

والحمد لله رب العالمين.

(١) وهي مخطوطة، أرجو الله أن ييسر طباعتها.

الفهرس

* * *